



الورقة التحليلية

مليشيات المشروع الإيراني في سوريا (٢)

الأدوار و مجالات التأثير

إسحق

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

الفهرس

2	مقدمة:
3	أولاً: الأدوار القتالية لمليشيات المشروع الإيراني في سوريا:
3	1-1- أهم المعارك العسكرية التي شاركت فيها مليشيات المشروع الإيراني:
3	1-1-1- معارك القصير وتلكلخ:
4	1-1-2- معارك حمص القديمة:
5	1-1-3- معارك داريا:
6	1-1-4- معارك القلمون الغربي:
8	1-1-4- الزبداني ومضايا:
9	1-1-5- معارك حلب:
12	1-1-6- معارك الغوطة الشرقية:
15	1-2- القواعد العسكرية ومناطق الانتشار:
19	1-3- خسائر مليشيات المشروع الإيراني في سوريا:
20	ثانياً- الأدوار غير القتالية لمليشيات المشروع الإيراني في سوريا:
20	1-2- تجنيد السكان المحليين تحت ستار النشاطات المدنية:
21	2-2- تيسير أنشطة التشييع:
21	3-2- التغيير الديموغرافي:
22	4-2- إنشاء المربعات الأمنية، ومناطق النفوذ:
23	5-2- تغيير هوية المدن التاريخية:
24	6-2- محاولة اختراق بعض مجتمعات الأقليات:
25	7-2- توسيع دائرة النفوذ الاجتماعي والسياسي:
26	8-2- شراء العقارات:
27	9-2- النشاطات الاقتصادية غير المشروعة (التهرب، تجارة السلاح والمخدرات):
28	10-2- التغلغل في جيش النظام السوري:
28	ثالثاً: الصراعات الداخلية:
31	رابعاً: استنتاجات:
35	الخاتمة:

مقدمة:

جندت إيران خلال الفترة 2012-2017 أعداد كبيرة من المقاتلين لصالح مشروعها في سوريا، تراوح عددهم بين 100-150 ألف مقاتل سواء من عناصر الميليشيات المحلية التي قامت بتجنيدها أو الميليشيات الأجنبية التي استقدمتها إلى سوريا¹، ولم تكتفِ إيران بالحشد والتجنيد ومتابعة الأحداث وإدارتها عن بعد، بل عملت على قيادة بعض المعارك بشكل مباشر والإشراف عليها، عن طريق ضباطها من الحرس الثوري الإيراني، أو عن طريق قياداتٍ من "حزب الله" اللبناني تنسق معها بشكلٍ مباشر.

وقد استغلت إيران القوة العسكرية الكبيرة التابعة لها على الأرض، واستفادت من التغطية الجوية التي قدمتها القوات الجوية الروسية، فزجت بالمقاتلين في معارك عديدة انتشرت في معظم الجغرافيا السورية، وتمكنت من خلال ذلك من قلب موازين القوى لصالح نظام الأسد، واستعادت لصالح مشروعها ونظام الأسد مساحات واسعة من المناطق كانت تخضع لسيطرة فصائل المعارضة المسلحة، كما سعت إلى ترسيخ وجودها العسكري وفق سياسة الأمر الواقع، وذلك بالتمركز مع مليشياتها في قواعد عسكرية موجودة، واستحداث وبناء قواعد جديدة، بما يشير إلى عزمها على البقاء بالشكل العسكري في سوريا، ويضعف أي رواية تتحدث عن انسحابها أو انسحاب مليشياتها من سوريا بعد أن أنهت المهمة التي ادّعت أنها جاءت من أجلها.

ومن جهة أخرى بدأت مليشيات المشروع الإيراني بإظهار تحولات جديدة في الأدوار المنوطة بها، حيث عملت على استثمار الانتصارات التي حققتها على الأرض، وتحصيل أكبر قدرٍ من المكاسب؛ لضمان مصالحها المستقبلية في سوريا، والدفع بمشروع إيران الإقليمي في المنطقة خطوات إلى الأمام.

وتهدف هذا الورقة البحثية المعنونة بـ(مليشيات المشروع الإيراني في سوريا: الأدوار ومجالات التأثير) إلى فهم الأدوار التي لعبتها تلك الميليشيات خلال السنوات الماضية، وتتبع التحولات التي طرأت على تلك الأدوار، انتقالاً من الشكل العسكري إلى التغلغل الاقتصادي والاجتماعي.

وتأتي هذه الورقة بعد التقرير الأول الذي نشره مركز الحوار السوري ضمن سلسلة تحمل عنوان "مليشيات المشروع الإيراني في سوريا"، والذي حمل عنوان "مليشيات المشروع الإيراني في سوريا: التصنيف والتبعية وعوامل الحشد"، استعرض فيه بنية الميليشيات الأجنبية التي استقدمتها إيران من خارج سوريا والمليشيات المحلية التي قامت بتجنيدها، كما سلّط الضوء على الوسائل والأدوات التي مكّنت إيران من حشد هذه الأعداد، بينما ستناقش الورقة اللاحقة في السلسلة، التي تحمل عنوان "مليشيات المشروع الإيراني في سوريا: المستقبل والأثر الإقليمي" مستقبل تلك الميليشيات محلياً وإقليمياً، وتأثير وجودها على دول الجوار والدول المعنية بالقضية السورية.

¹ "سنة سيناريوهات لمستقبل الميليشيات الموالية للنظام في مرحلة ما بعد الحرب"، ترجمات موقع المرصد الاستراتيجي، تاريخ النشر 15-

<http://bit.ly/2kYyCqC>، 2019-3

وقد اعتمدت هذه الورقة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال جمع ورصد الأوراق والتقارير والدراسات البحثية المنشورة باللغتين العربية والإنكليزية كمصادر ثانوية، بالإضافة إلى لقاءات مع عدد من من الناشطين والقادة العسكريين الذين عاصروا المعارك في المناطق التي خرجت عن سيطرة قوات الأسد لفترات طويلة، والذين هُجروا في السنتين الأخيرتين كمصادر أولية².

وتتحدث الورقة في قسمها الأول عن أهم المعارك التي شاركت فيها فصائل المشروع الإيراني في سوريا، موضحةً أهمية تلك المناطق والاستراتيجية العسكرية التي تم اتباعها، ومناطق انتشار القواعد العسكرية التابعة لها، والخسائر البشرية التي مُنيت بها، في حين يفصل القسم الثاني من الورقة الأدوار غير القتالية التي مارستها تلك المليشيات، مظهراً محاولاتها لاختراق المجتمع السوري اقتصادياً واجتماعياً وطائفيًا ودينيًا، بينما يعرض القسم الثالث ملامح الصراعات الداخلية التي اندلعت بين تلك المليشيات، والتي هدّدت البنية الداخلية والعلاقات فيما بينها، فيما يستعرض القسم الأخير بعض الاستنتاجات بناء على تحليل المعلومات الواردة في الورقة.

أولاً: الأدوار القتالية للمليشيات المشروع الإيراني في سوريا:

شاركت المليشيات التي استقدمتها أو جندتها إيران بشكل ملموس في العمليات العسكرية القتالية في سوريا منذ بداية عام 2013، حيث كان لها دور مهم في بعض المعارك، كما كانت رأس حربة في معارك أخرى، ولفهم الدور القتالي الذي لعبته تلك المليشيات؛ لا بد من معرفة أهم المعارك العسكرية التي كانت تلك المليشيات الدور البارز في الحسم العسكري فيها، وفهم دوافع القتال، وأهمية المعركة بالنسبة لها.

1-1- أهم المعارك العسكرية التي شاركت فيها مليشيات المشروع الإيراني:

1-1-1- معارك القصير وتلكلخ³:

أولى "حزب الله" اللبناني المناطق المتاخمة للحدود اللبنانية الأهمية الكبرى، وخاصة منطقة القصير؛ نظراً لكونها تشكل امتداداً لأمن ومصالح "حزب الله" المحلية في لبنان، فهي منطقة حدودية

² تم إجراء 9 مقابلات مع ناشطين وعسكريين في كل من مضايا، وادي بردى، القصير، حمص القديمة، حلب، الغوطة الشرقية، القلمون الغربي، جوبر، داريا.

³ خرجت منطقة القصير وماحولها عن سيطرة نظام الأسد في آذار 2012، حيث عجزت قواته عن الوقوف أمام تمدد فصائل المعارضة فيها والتي تميزت بالثبات في القتال والخبرة التنظيم، إضافة إلى اغتنامهم بعض الأسلحة الثقيلة التي كانت الأولى من نوعها في المنطقة، وقد تدخل "حزب الله" اللبناني بكامل قوته وفرض على المنطقة حصاراً خانقاً امتد لـ 9 أشهر قطع خلاله منافذ تهريب السلاح والمواد الغذائية والطبية من لبنان إلى القصير وماحولها، ثم أطلق معركة كبيرة في نيسان 2013 شارك فيها ما يقارب 1200 مقاتل من قوات النخبة، استلموا مهام الهجوم والاقترام وقيادة المعارك من محاورها المختلفة، حيث أوكلت لقوات النظام مهام التغطية النارية. ولم تفلح محاولات فصائل المعارضة بالصمود أو كسر الحصار، خاصة مع نفاذ مخزون السلاح والدواء، لم تستطع التعزيزات التي أطلقها بعض الفصائل كلواء التوحيد سوى فتح طريق لانسحاب المقاتلين والمدنيين المحاصرين الذين غادروا المنطقة جميعاً خشية انتقام "حزب الله" منهم، وتوفي العديد منهم نتيجة تفنن جرحهم وإصاباتهم التي لم يتوفر لها العلاج المناسب خلال الحصار. المصدر: شهادة أحد القادة العسكريين الذين قادوا معارك القصير لفريق العمل في أيلول 2019.

"معركة القصير": التداعيات والآثار"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تاريخ النشر 2013-5-23، <http://bit.ly/2pjysfz>

تنتشر فيها القرى السننية على الطرف السوري، وتطل على عدد من القرى الشيعية في الطرف اللبناني، وكانت مسؤولةً في وقتٍ سابقٍ عن عمليات التهريب بين سوريا ولبنان.

ومن ناحية أخرى ظهر لدى "حزب الله" تخوّفٌ واضحٌ من ظهور مجموعاتٍ سننيةٍ مسلحة على الطرف اللبناني (منطقة جرود عرسال السننية) تقوم بدعم مجموعات المعارضة السورية على الطرف السوري، خاصة مع تزايد عمليات تهريب السلاح والذخائر من لبنان إلى سوريا، فلجأت مليشيات "حزب الله" للتدخل العسكري السريع؛ بهدف وقف تمدد فصائل المعارضة المسلحة المتمركزة في منطقتي القصير وتلكخ الحدوديتين، والتي بسطت سيطرتها على مساحاتٍ واسعة بشكلٍ هدد الطرق الدولية "طريق حمص - الشام" و"طريق حمص - طرطوس" بالقطع، كما سعى "حزب الله" إلى قطع الإمدادات التي كانت تنقلها هذه المجموعات للمحاصرين في مدينة حمص القديمة وأحيائها الطرفية خاصةً حيّ بابا عمرو، وجوبر والسلطانية سواء من الأسلحة أو الذخائر أو المؤن والأدوية، وإيقاف الهجمات التي شنتها في فتراتٍ متفرقة؛ لفكّ الحصار عنهم أو التخفيف منه⁴.

وتعتبر معركة القصير المرة الأولى التي يعلن فيها "حزب الله" عن مشاركته العسكرية بشكلٍ صريح، بعد نفي سابق عن تقديم أي دعم عسكري لنظام الأسد باستثناء الاستشارات، كما أنها تعتبر المعركة الأولى التي استلم فيها "حزب الله" قيادة المعركة على الأراضي السورية بشكلٍ كامل، وزج فيها بقوات النخبة التابعة له، ودعم هذا التحرك بحملة إعلامية كبيرة، سعت إلى زيادة الحشد والتأييد ضمن جمهوره، وذلك من خلال إعطاء المعركة بعداً طائفيًا وأيديولوجيًا واضحاً، تجلّى بالشعارات الطائفية التي رافقت المعركة، والرايات السوداء والهتافات الطائفية التي رفعتها عناصر الميليشيا على مساجد المدينة وتفاخروا بتصويرها ونشرها، ثم بقيامهم لاحقاً بمنع السكان المدنيين من العودة حتى بعد مرور سنوات على سيطرتهم عليها.

2-1-1- معارك حمص القديمة⁵:

⁴ من شهادة أحد القادة العسكريين الذين قادوا معارك القصير لفريق العمل في أيلول 2019،
⁵ في نهاية عام 2012 أحكمت قوات الأسد الحصار على منطقة حمص القديمة التي كانت يقطنها قرابة 5000 شخص، وذلك بعد نجاحها باقتحام حيّ دير بعلبة (بوابة حمص القديمة)، إلا أن محاولاتها اللاحقة في الاقتحام فشلت، نتيجة مؤازرات قوات المعارضة من ريف حمص، وخاصة القصير، مما دفع بمليشيات "حزب الله" لقيادة المعركة وتغيير استراتيجية القتال والتوجه أولاً إلى القصير وما حولها، من أجل قطع خطوط الإمداد وضمان نجاح معاركها في حمص، وفي بداية آذار 2013 انطلقت حملة عسكرية تعتبر الأعنف، استهدفت فيها شبكة الأنفاق التي حفرها مقاتلو المعارضة في حمص هدفت إلى عزل الأحياء عن بعضها، وإيقاف تهريب الإمدادات فيما بينها، وقد استمرت الحملة العسكرية عدة أشهر تخللها هدنة قصيرة سمحت بخروج أعداد من المدنيين، ثم استؤنفت المعارك لاحقاً، مما اضطر فصائل المعارضة في حمص إلى القبول بتوقيع اتفاقية الخروج من المنطقة، بعد نفاذ مخزونهم من الذخائر والمواد الغذائية والطبية.

المصدر: شهادة أحد القادة العسكريين الذين قادوا معارك حمص القديمة لفريق العمل في أيلول 2019،
"معركة القصير": التداعيات والآثار"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تاريخ النشر 2013-5-23، <http://bit.ly/2pjysfz>

خرجت أحياء حمص القديمة والتي شكّلت ما يقارب الـ 20% من مساحة المدينة عن سيطرة نظام الأسد في بداية عام 2012، وفشلت قوات الأسد مراراً في اقتحامها أو استعادتها، فقامت بإطباق الحصار عليها، وقطع خطوط الإمداد عنها، وخاصة تلك القادمة من قرى ريف حمص الشمالي والغربي.

وبعد دخول حزب الله على خط المواجهة العسكرية المباشرة، تغيرت تكتيكات المعركة في حمص القديمة، حيث أوكلت قيادة المعركة "لحزب الله" الذي بدأ يدير عمليات الهجوم والاختحام ضد فصائل المعارضة في أحياء حمص القديمة، مستعيناً بقوات النخبة من عناصره "فوج الرضوان"، وعدد من الميليشيات الشيعية المحلية، بالتنسيق مع ضباط في الحرس الجمهوري، وقد أظهر مقاتلو ميليشيات "حزب الله" اللبناني في تلك المعركة عنفاً وثباتاً كبيرين في القتال، رغم وقوع خسائر بشرية كبيرة في صفوفهم قدرت بـ 200 عنصر، بينهم 100 سقطوا على جبهة حي القصور وحدها، وانتهت المعركة بتوقيع أول اتفاقية انسحاب عرفت باسم "هدنة حمص"⁶.

1-1-3- معارك داريا⁷:

أبدت إيران قبل الثورة اهتماماً ملحوظاً بمدينة داريا التي تقطنها أغلبية سنية كبيرة، حيث حوّلت إيران أحد البيوت القديمة المتهاككة إلى ما زعمت أنه مقام السيدة سكينة، وقامت ببناء المقام من جديد وشراء المنازل والأراضي حوله؛ لتحويلها إلى فنادق وشقق لتخديم زوار المقام. وقد استخدمت إيران لاحقاً والمليشيات التابعة لها هذا المقام كذريعة لتجنيد المقاتلين الأجانب، ونقلهم للمشاركة في القتال بحجة حماية المراقدين الشيعية التي ادّعت أن تنظيم "داعش" قد قام بهدمها، وعملت على نشر العديد من الصور التي تظهر الدمار الكبير الذي لحق بالمدينة، دون الإشارة إلى المتسبب الحقيقي في هذا الدمار.

وقد تجلّت مشاركة الميليشيات التابعة لإيران عسكرياً في داريا في وقت مبكر، حيث بدأت مع اقتحام المدينة إبان مجزرة داريا التي حدثت في آب 2012، فيما أكدت شهادات الناجين قيام عناصر

⁶ "هدنة حمص": وهي أول اتفاقية تمت بإشراف إيران والأمم المتحدة في أيار عام 2014، وقضت بخروج ما يقارب 2000 شخص من مقاتلي حمص وعائلاتهم من مدينة حمص القديمة بالأسلحة الفردي إلى ريف حمص الشمالي مقابل إفراج الثوار في ريف حلب الشمالي عن 70 أسيراً بينهم إيراني وأفراد من الطائفة العلوية، والسماح بإدخال الإمدادات الغذائية إلى بلدي نبل والزهران المحاصرتين في ريف حلب لمدينة وإخراج الجرحى في سيارات الإسعاف التابعة للبهلال الأحمر السوري. المصدر: شهادة أحد القادة العسكريين الذين قادوا معارك حمص القديمة لفريق العمل في أيلول 2019،

'القدس العربي' تكشف بنود اتفاق 'هدنة حمص'، موقع القدس العربي، تاريخ النشر 3-5-2014، <http://bit.ly/2NLLMle>

⁷ تعتبر مدينة داريا من المدن ذات الأهمية الاستراتيجية المؤثرة على العاصمة دمشق، نظراً لموقعها القريب من مقر المخابرات الجوية الفرقة الرابعة ولقربها الشديد من العاصمة دمشق وتداخل بساطتها مع بساطتين كفسوسة والمزة من جهة ومع المعضمية من جهة أخرى وقربها من المتحلق الجنوبي،

شهادة أحد ناشطي مدينة داريا لفريق العمل في أيلول 2019،

"ثورة داريا السورية ومأساتها.. أحداث وأرقام"، الجزيرة نت، تاريخ النشر 25-8-2016، <http://bit.ly/2pjtYFE>

يتحدثون بلهجاتٍ عراقية ولبنانية ويرفعون الرايات الخضراء وأعلام ميليشيات "حزب الله" و"أبو الفضل العباس" بعمليات القتل والذبح إلى جانب قوات النظام.⁸

وفي أواخر عام 2012 فرضت قوات النظام بقيادة المخابرات الجوية والفرقة الرابعة ودعم من الميليشيات العراقية العاملة معها حصاراً على مدينة داريا استمر حتى آب عام 2016، تخلله عشرات من محاولات الاقتحام الفاشلة والقصف الجوي العنيف، اضطر معه مقاتلو المعارضة إلى توقيع اتفاق مع النظام في آب 2016 يقضي بخروج المقاتلين وعائلاتهم إلى إدلب بعد تسليمهم سلاحهم المتوسط والثقيل، وذلك بضمانات وإشراف من الصليب الأحمر الدولي.

ومن الجدير بالذكر أن توقيع هذه الاتفاقية قد تم بحضور ضباطين رفيعين من "حزب الله" إلى جانب ضباط من النظام، وكان من أول بنودها تسليم جثث 20 مقاتلاً عراقياً قضوا سابقاً كشرطٍ أساسي للإخلاء.⁹

1-1-4- معارك القلمون الغربي¹⁰:

انتشرت عمليات التهريب بشكلٍ واضح قبل الثورة بين قرى وبلدات القلمون الغربي والقرى المقابلة لها على الطرف اللبناني¹¹، حيث نشطت تجارة وتهريب المخدرات وخاصة الحشيش - من الطرف اللبناني إلى الطرف السوري- بالإضافة إلى تهريب بعض المواد الغذائية والأموال، واستمرت هذه العمليات حتى بعد اندلاع الثورة، حيث تطورت أيضاً إلى تهريب الأسلحة والسيارات المسروقة من لبنان باتجاه سوريا عبر هذه المنطقة، وبيعها لفصائل المعارضة المسلحة.

لم يبدي نظام الأسد ولا حزب الله اهتماماً عسكرياً أو أمنياً بهذه المنطقة، رغم أنها منطقة حدودية وذات أهمية استراتيجية¹²، بل على العكس سحب نظام الأسد على نحوٍ مفاجئ جميع قواته العسكرية وعناصر حرس الحدود منها وزجها في معارك حمص، ممّا دفع بالعديد من الملاحقين أمنياً للاختباء والتحصن بهذه المنطقة وخاصة من مناطق القصير وريف حمص ودمشق وغوطتها وبلدة التل وعين منين¹³.

⁸ شهادة أحد ناشطي مدينة داريا وعضو المجلس المحلي فيها لفريق العمل في أيلول 2019.

⁹ المصدر السابق

¹⁰ من لقاء أجراه فريق المركز مع أحد القياديين العسكريين في القلمون الغربي في تشرين الأول 2019.

¹¹ "معركة القلمون الغربي... لهذه الأسباب هي مصيرية لحزب الله"، موقع العربي الجديد، تاريخ النشر 5-5-2015.

<http://bit.ly/2MocpvO>

¹² تعتبر مناطق القلمون الغربي امتداداً من بلدة قارة وحتى الزيداني وبلدة جوسية مناطق حدودية ذات أغلبية سنية تقابلها على الطرف اللبناني وعلى نفس الامتداد العديد من القرى الشيعية - باستثناء بلدتي عرسال السنوية وبلدة رأس بعلبك ذات الأغلبية المسيحية - حيث كانت تلك القرى اللبنانية الشيعية تعتبر الحاضنة الشعبية المؤيدة لـ "حزب الله" سياسياً وعسكرياً واجتماعياً وخرجت منها معظم كوادر الحزب.

¹³ تشكل منطقة القلمون الغربي عقدة تصل بين مدينة حمص والشمال السوري، كما تتوسط ثلاثة مطارات هي الشعيرات والناصرية والتيفور.

¹⁴ تسبب الفراغ الأمني في المنطقة بتزايد أعداد المعارضين لنظام الأسد القادمين إليها من مدنيين وعسكريين، حيث بدؤوا بتنظيم أمورهم، والقيام بتحرير حاجز الفاوخ في أيار 2013 والذي كان يقطع الطريق بين وادي بردى وبين مناطق القلمون، ثم اتجهوا نحو مخازن الأسلحة في المنطقة في محاولة لزيادة قوتهم العسكرية.

إلا أن قيام فصائل المعارضة التي تجمعت في هذه المنطقة عام 2013 بالهجوم على أكبر مستودعات الأسلحة في المنطقة "دحة"¹⁴ و"مهين"¹⁵ واغتنامهم كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد والصواريخ المضادة للدروع، دفع "حزب الله" للتوجه فوراً إلى القلمون من أجل منع نقل الأسلحة والذخائر إلى القلمون الغربي، فشنّ عمليةً عسكريةً كبيرةً وتمكّن من الاستيلاء على بلدات قارة والنبك ودير عطية، وسيطر على معظم مخازن الأسلحة التي كانت فصائل المعارضة قد خبّأت فيها الأسلحة تمهيداً لنقلها.

اتبع "حزب الله" لاحقاً أسلوباً مغايراً، فلم يلجأ إلى إنهاء العمل العسكري أو استكمال بسط نفوذه في المنطقة، وإنما عمل على اختراق المنطقة أمنياً من خلال تجنيد العديد من الخلايا النائمة، وضمّ بعضها إلى صفوف فصائل المعارضة المسلحة في القلمون الغربي، مستغلاً صلواته السابقة مع بعض سكان المنطقة، وقد أوكل إلى تلك الخلايا مهمة رصد التحركات العسكرية، وتسهيل دخول السيارات المفخخة التي استهدفت المدنيين، في محاولة لتأجيج العداء والكره الشعبي لتلك الفصائل¹⁶.

ومع بداية عام 2014، تحرك "حزب الله" مرة أخرى باتجاه كلٍّ من يبرود ورنكوس، حيث كانت البلدتان المركز الرئيسي لتجمع فصائل المعارضة، وحشد آلاف المقاتلين على جبهة طويلة تصل إلى 19 كم، وأطلق حملةً إعلاميةً واسعة، حاولت امتصاص الغضب الشعبي بين أنصاره؛ نتيجة ارتفاع أعداد قتلى الحزب في سوريا، حيث ركزت الحملة على الترويج لفكرة "الحرب على الإرهاب"، مستغلةً قيام "جبهة النصرة" بعمليات تفجير بسيارات مفخخة استهدفت القرى الشيعية في الطرف اللبناني في وقتٍ سابق.

وقد استخدم في المعركة تكتيكات متنوعة، منها التقدم البطيء بعد التغطية النارية الكثيفة، وصولاً إلى تنكر مقاتلي الحزب بملابس فصائل المعارضة، وتحديثهم بالعربية الفصحى ومحاولة تسليهم في الليل، بالإضافة إلى تحريك الخلايا المحلية التي تم تجنيدها لصالحه والتي قامت بفتح ثغرة، دخل

¹⁴ "الجيش الحر يسيطر على حاجز الفاخوخ في ريف دمشق"، تلفزيون الأن، تاريخ النشر 13-5-2013، <http://bit.ly/30Waxjc>

¹⁵ تحوي صواريخ كونكورس وجراد وكورنيت... "عاصفة القلمون" تعصف بمستودعات حيوية للسلاح"، موقع زمان الوصل، تاريخ النشر

3-8-2013، <http://bit.ly/2LRmeTW>

¹⁶ "قوات المعارضة تسيطر على ثاني أكبر مستودعات للذخيرة في سوريا"، موقع عنب بلدي، تاريخ النشر 10-11-2013،

<http://bit.ly/2VoPG6X>

¹⁶ أكدت شهادة أحد القياديين العسكريين في القلمون أنهم عثروا في منزل مختار إحدى البلدات، على سجلات تحوي ذاتيات ل 400 اسم من ذات البلدة فقط، تم تجنيدهم لصالح حزب الله منذ عام 2012، حيث كانوا يتلقون الرواتب والأسلحة، وخلال التحقيق مع المختار وابنه اعترف الابن أنه سهل دخول 4 ضباط من حزب الله إلى المنطقة وأمن لهم جولات فيها، حيث اطلعوا على الوضع الميداني وطرق التهريب وأماكن انتشار الفصائل.

المصدر: من لقاء أجراه فريق المركز مع أحد القياديين العسكريين في القلمون الغربي في تشرين الأول 2019.

من خلالها عناصر مليشيات "حزب الله" بسهولة، ثم توجهوا لاحقاً إلى مدينة رنكوس، وتمكنوا من السيطرة عليها، وإبعاد فصائل المعارضة باتجاه الجرود الحدودية¹⁷.

هذا وقد أحبط الظهور المفاجئ لقيادات لتنظيم "داعش" التي قدمت إلى القلمون الغربي في تلك الأثناء كلّ محاولات فصائل المعارضة المسلحة؛ لإعادة تنظيم نفسها وشن حرب عصاباتٍ على خطوط إمداد حزب الله، وخاصة مع قيام تلك القيادات بإغراء المقاتلين بالرواتب والأموال للانضمام إلى صفوفهم، ثم زجهم في صداماتٍ مسلحة ضد فصائل المعارضة؛ مما دفع بمعظم تلك الفصائل للانتقال إلى مناطق أخرى، في حين تأخر خروج عناصر تنظيم داعش حتى عام 2017¹⁸.

4-1-1 الزيداني ومضاي¹⁹:

تعتبر بلدتي الزيداني ومضاي من أوائل المناطق الثائرة في الغوطة الغربية إلى جانب قرى وبلدات وادي بردى، كما أنها من المناطق الاستراتيجية المهمة لنظام الأسد²⁰، وقد خرجت بلدتا مضاي والزيداني عن سيطرة قوات الأسد في عام 2012، وشهد سهل الزيداني العديد من الاشتباكات العنيفة بين الطرفين، والتي امتدت على مدار ثلاث سنوات حتى عام 2015. وفي منتصف عام 2015 استلم "حزب الله" قيادة المعارك، وأحكم حصاره على المنطقة بحجة وجود "إرهابيين" فيها²¹، وزرع محيط المدينتين بالألغام المتفجرة، واستهدف كلّ من يحاول الخروج برصاص

¹⁷ لم تكن معارك مناطق القلمون الغربي سهلة على حزب الله لوعورة المنطقة وبنيتها الجبلية، إلا أن الاختراق الذي تسببت به الخلايا المحلية المجنّدة لصالح الحزب وفتح ثغرة في أشد المناطق تحصيناً كان السبب الرئيسي في دخول عناصر وآليات "حزب الله" بكل سهولة، مما اضطر ثوار المنطقة للانسحاب مدينة رنكوس ثم توجهوا بعدها باتجاه سهول رنكوس ثم باتجاه جرود عسال الورد قرب الشريط الحدودي، بعد أن استولت مليشيات "حزب الله" على مدينة رنكوس وأوقفت بعدها عملياتها العسكرية، المصدر السابق

¹⁸ قامت عناصر داعش المتواجدة في جرود رنكوس بعملية ضد الجيش اللبناني في عرسال، خطفت فيها 9 من الجنود اللبنانيين وعناصر من حزب الله، الأمر الذي استغله حزب الله بشكل كبير عام 2017 عندما أعلن "حزب الله" عن شنه عملية عسكرية في كل من سوريا ولبنان ضد تنظيم "داعش" بمشاركة الجيش اللبناني، انتهت باتفاقية بين الطرفين تم على إثرها نقل عناصر "داعش" وعائلاتهم إلى دير الزور مقابل تسليم رفات المخطوفين ورفات قتلى لـ "حزب الله" في المنطقة

المصدر: "بعد أن سلموا المنطقة لحزب الله.. خروج عناصر داعش من القلمون باتجاه دير الزور"، موقع أورينت نت، تاريخ النشر 28-8-2017، <http://o-t.tv/syM>

من لقاء أجراه فريق المركز مع أحد القياديين العسكريين في القلمون الغربي في تشرين الأول 2019.

¹⁹ من لقاء أجراه فريق المركز مع ناشطين أحدهما من الزيداني والآخر من وادي بردى في أيلول 2019.

"ارتفاع قتلى حزب الله في الزيداني"، موقع الجزيرة نت، تاريخ النشر 14/9/2015، <http://bit.ly/2pma3pn>

²⁰ تعتبر بلدتي الزيداني ومضاي والسهول المحيطة بها ذات أهمية استراتيجية؛ لكونها تقع على طريق بيروت دمشق، الذي يصل إلى المعابر اللبنانية من جهة وإلى العاصمة دمشق من الجهة الغربية، والتي كانت فصائل المعارضة تتواجد في أطرافها الجنوبية والشرقية في حي جوبر وحي برزة في ذلك الوقت، كما أن المنطقة تشكل شريطاً حدودياً متاخماً للبنان، شهدت قبل وخلال الثورة نشاطاً واسعاً لعمليات التهريب مع لبنان.

²¹ اعتبر العديد من ناشطي المعارضة أن حزب الله استثمر فكرة الحرب على الإرهاب لإيجاد غطاء لتدخله وحصاره للمدنيين، فقد استغرب الكثير منهم ظهور بعض الفيديوهات والمقاطع المصورة داخل الزيداني، ظهر فيها أشخاص مقنعون ادعوا أنهم عناصر من تنظيم "داعش" - رغم تأكيدات السكان على خلو المنطقة من أي وجود لهذا التنظيم - وتوعدوا "حزب الله" بالرد العنيف والانتقام، الأمر الذي استثمره "حزب الله" بشكل إعلامي كبير ليتمتص النعمة الشعبية بين حاضنته جراء سقوط العديد من القتلى بينهم مراهقون في المعارك، خاصة أن تلك

قناصته؛ لتشهد المنطقة كارثة إنسانية كانت الأسوأ في تاريخ الثورة السورية، قضى فيها ما يزيد عن 42 شخصاً نتيجة الجوع، وبلغ معدل حالات الإغماء اليومي 120 حالة نتيجة سوء التغذية²². وقد منعت مليشيات "حزب الله" دخول أي شاحنة مساعدات أو مواد إغاثية لما يزيد عن 3 أشهر، فارتفعت أسعار المواد الغذائية الأساسية لأرقام قياسية، وعاشت الناس على الحشائش والمياه، وهنا بدأت عناصر "حزب الله" تقايض دخول المواد الغذائية للمدنيين بقطع السلاح، حيث بدأت تشتترط الحصول على أسلحة معينة – خاصة القناصات- مقابل دخول كميات محدودة من المواد الغذائية الأساسية، في محاولة لسحب السلاح الموجود بيد فصائل المعارضة المسلحة الموجودة في المنطقة²³. استمرت المعارك الشرسة بين الطرفين حتى عام 2017، تكبدت فيها مليشيات "حزب الله" خسائر بشرية كبيرة قدرت بـ 300 مقاتل بينهم 111 في المعارك الأخيرة، بالإضافة إلى ضابطين إيرانيين، وحُسمت المعارك باتفاق وقّع في آذار 2017 عرف باتفاق "المدن الأربعة"²⁴.

1-1-5 معارك حلب²⁵:

تعتبر محافظة حلب محافظة ذات أغلبية سنية عظمى، يتواجد فيها بعض القرى الشيعية كبلدتي نبل والزهراء، وقد شهدت مدينة حلب قبل الثورة بعض الأنشطة التشيعية، إلا أنها لم تكن ذات أثر واضح.

ومع انطلاق الثورة السورية، برز الدور الأبرز لعناصر من "حزب الله" في تأليب القرى الشيعية في محافظتي إدلب وحلب، من خلال نشر الإشاعات والمخاوف بين السكان عن إمكانية تعرضهم لإبادة طائفية من قبل القرى السنية المجاورة، مع العلم أنّ هذه القرى الشيعية لم تشهد سابقاً أي

العمليات العسكرية تزامنت مع تصريح لحسن نصر الله في حديث ألقاه في "يوم القدس العالمي"، أشار فيه بأن "الطريق للقدس يمر من القلمون والزبداني"، في محاولة منه لاستجلاب التأييد الإضافي من أنصاره في الداخل اللبناني لجملته على الزبداني.

"حزب الله في متاهته.. يزج بالأطفال ويستدعي داعش إعلامياً للزبداني!"، أورينت نت، تاريخ النشر 13-7-2015، <http://o-t.tv/aBz>

²² تشير إحدى الشهادات التي حصل عليها فريق المركز من قبل أحد القادة العسكريين إلى أن حزب الله نشر في محيط منطقة الزبداني ما يقارب 270 نقطة عسكرية مهمتها إطباق الحصار على المدنيين والثوار حيث كانت المسافات بين كل نقطتين متعاقبتين بين 150-200 متر فقط.

للاطلاع على أوضاع الحصار وتداعياته اقرأ: "طبيب اخترق حصار مضايا يروي بعض مأساها" الجزيرة نت، تاريخ النشر 8/1/2016، <http://bit.ly/2n3Lc9e>

²³ من لقاء لناشط من الزبداني مع فريق المركز في أيلول 2019.

²⁴ نص اتفاق المدن الأربعة الذي تم بين ممثلين عن حركة أحرار الشام الإسلامية وهيئة تحرير الشام (هتث) من جهة، وعن الحرس الثوري الإيراني ومليشيا "حزب الله" برعاية قطرية، على خروج 2500 من المحاصرين في بلدة مضايا ومدينة الزبداني، بالإضافة إلى من تبقوا في وادي بردى، مقابل خروج 8000 من بلدتي كفريا والفوعة من بينهم 2000 مقاتل وعائلاتهم، وإطلاق سراح 1500 معتقل بينهم 600 امرأة، ثم ألحق بالاتفاق بند ينص على إخلاء مقاتلي "هيئة تحرير الشام" من مخيم اليرموك جنوب دمشق

المصدر: بدء تنفيذ اتفاق "المدن الأربع"، موقع المدن، تاريخ النشر 12/04/2017، <http://bit.ly/2pssRDL>

²⁵ من لقاء أجراه فريق المركز مع أحد الناشطين من حلب في أيلول 2019.

"المليشيات الشيعية.. قوة احتلال أجنبية في حلب"، الجزيرة نت، تاريخ النشر 18-12-2016، <http://bit.ly/2oIMxTk>

توترات طائفية مع تلك القرى السنية، بل على العكس ارتبطت معهم على مدى سنوات طويلة بعلاقات مصاهرة ونسب وتجارة وعمل²⁶.

ساهمت قيادات "حزب الله" في تسليح القرى الشيعية، وتدريب شبابها وتنظيمهم عسكرياً، واستثمرت خروج مناطق ريف حلب عن سيطرة النظام لتأجيج تلك المخاوف، خاصة بعد أن تمكنت قوى المعارضة المسلحة من السيطرة على محيط ريف حلب الشمالي وريف إدلب، فحوصرت تلك البلدات الشيعية (نبل والزهراء في ريف حلب وكفريا والفرعة في ريف إدلب) بشكلٍ تلقائي.

وعلى الرغم من السيطرة الكاملة على المنطقة من قبل فصائل المعارضة المسلحة لم ينقطع عن تلك البلدات الطعام والغذاء والدواء والمحروقات، فقد كان الطيران المروحي يلقي بشكلٍ دوري بشحنات الأغذية والأدوية والذخائر فوقها²⁷، وخلال تلك الفترة كثفت القيادات الإيرانية ومليشيات "حزب الله" من تدريباتها للمليشيات المحلية التي تكونت في تلك البلدات، وبدأت تلك المليشيات باستهداف مناطق الثوار قصفاً وقنصاً.

أما في مدينة حلب فقد خرجت أحياء حلب الشرقية عن سيطرة نظام الأسد في تموز 2012، وتعرضت تلك الأحياء لعشرات العمليات العسكرية، إلا أن حضور مليشيات المشروع الإيراني في المعارك لم يظهر بشكلٍ واضح إلا مع بداية عام 2014، وضمن عدة محاور وبأعداد ومسميات كثيرة، وقد قدرت بعض الجهات عدد أفراد تلك المليشيات التي انتشرت في مدينة حلب بـ 18 ألف مقاتل، 12 ألف مقاتل تمركزوا في أحياء حلب الشرقية، يتبعون لمليشيات حركة "النجباء" العراقية، و"حزب الله" اللبناني، وكتائب "حزب الله" العراقي، ولواء الباقر بينما تمركز قرابة 5000 مقاتل تحت قيادة جنرالات إيرانيين غرب حلب، بينهم 2000 مقاتل من لواء "فاطميون" الأفغاني ونحو 500 من لواء "زينبيون"، وحوالي 2500 من الحرس الثوري الإيراني²⁸.

وزادت الحملات العسكرية شراسةً بعد التدخل الروسي في أيلول 2015، حيث استلم قائد "فيلق القدس" قاسم سليمان قيادته المعارك التي استمرت حتى نهاية عام 2016، وشارك فيها ما بين 6 إلى 8 آلاف مقاتل من مليشيات المشروع الإيراني، وفقاً لإحصائيات صحيفة الغارديان البريطانية²⁹.

²⁶ من لقاء أجراه فريق المركز مع أحد الناشطين من حلب في أيلول 2019.

²⁷ "خلافات بين سكان كفريا والفوعة على المساعدات واتهامات للنظام بالتقصير" موقع السورية نت، تاريخ النشر 2015-10-22، <http://bit.ly/2Q1Tqe3>

"طائرة شحن روسية تلقي مساعدات على بلدي كفريا والفوعة الخاضعة لسيطرة النظام" قناة الجسر الفضائية، تاريخ النشر 2016-12-19، <http://bit.ly/2p4vbRt>

²⁸ "غبار معركة حلب يرسم خارطة الهلال الشيعي"، صحيفة العرب، تاريخ النشر 2016-12-16، <http://bit.ly/33v3YpI>

²⁹ "هل انتصرت إيران في معركة حلب؟"، موقع بي بي سي بالعربي، تاريخ النشر 2016-12-19، <https://bbc.in/2o6TcGX>

ومن الجدير بالذكر أن خسائر الميليشيات الإيرانية خلال تلك الفترة في حلب كانت الأعلى مقارنة بالمعارك الأخرى، حيث أحصت دراسة صادرة عن معهد واشنطن مقتل 1987 مقاتلاً، تمّ الإعلان عن مقتلهم بين عامي 2012 و2016، حيث أفصح عن مكان الوفاة لقرابة 408 مقاتلاً بينهم 230 مقاتلاً على الأقل تم التأكد من مقتلهم في معارك حلب³⁰.

المجموع	باكستانيين	لبنانيين	عراقيين	إيرانيين	أفغان
الحسكة	0	0	0	1	0
حلب	15	34	18	133	29
ريف دمشق	0	58	2	31	2
درعا	0	0	0	9	5
حمّاة	0	11	0	3	0
حمص	0	18	0	4	3
إدلب	0	11	0	1	0
اللاذقية	0	0	7	3	0
القنيطرة	0	5	0	2	0
الحدود اللبنانية السورية	0	3	0	0	0
غير معروف	70	825	43	251	390
المجموع	85	965	70	438	429

جدول يوضح أماكن وأعداد قتلى الميليشيات الشيعية الذين أعلن عنهم رسمياً بين عامي 2012-2016 (المصدر السابق)

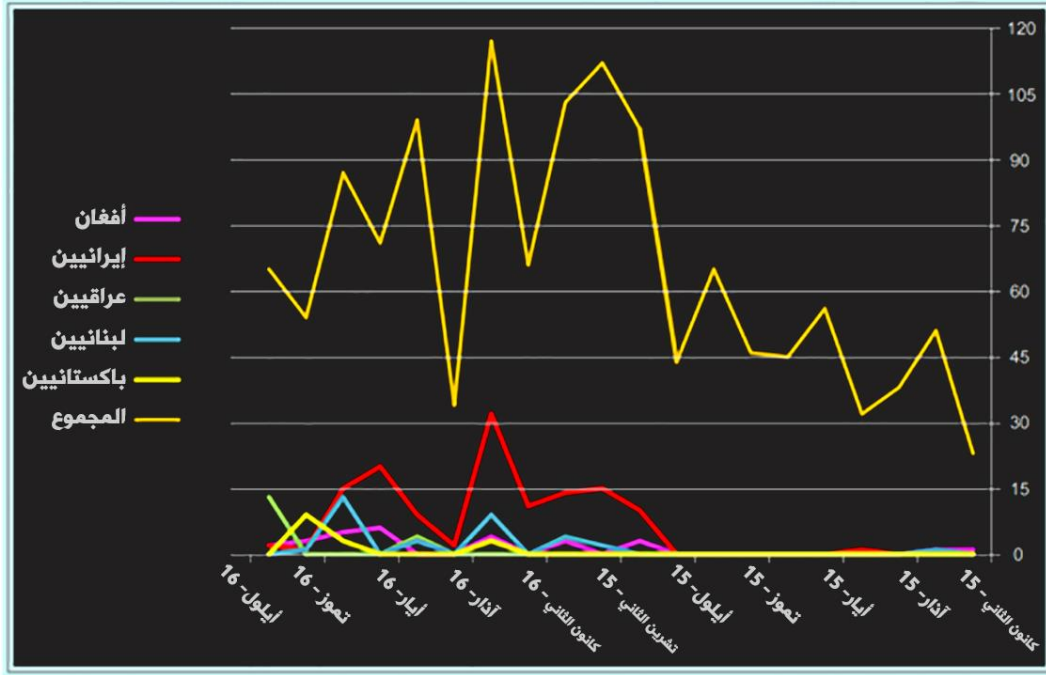
فيما يدلّ المخطط البياني اللاحق على ارتفاع أعداد القتلى في الفترة بين أيلول 2015 وتموز 2016 وهي الفترة التي بدأت فيها قوات الأسد والمليشيات التابعة شن معارك مكثفة استهدفت قطع طريق الكاستيلو، والتي كانت تهدف إلى إطباق الحصار الكامل على مدينة حلب، حيث قامت إيران بعدها بسحب معظم مقاتليها من القتال على الأرض والاكْتفاء بإدارة المعارك والإشراف عليها؛ لاحتواء حالة الغضب الشعبي الداخلي نتيجة الارتفاع الكبير في أعداد القتلى، حيث طُلب من "حزب الله" زيادة عدد عناصره المشاركة في المعارك؛ لتعويض النقص نتيجة هذا الانسحاب³¹.

وبعد أن أُطبّق الحصار بشكلي كامل على مدينة حلب في تموز 2016، صعّدت كلُّ من قوات النظام ومليشيات المشروع الإيراني هجماتها، مستغلة التغطية الجوية الروسية، وسط مقاومة شرسة من فصائل المعارضة داخل حلب، ومن فصائل "جيش الفتح" التي حاولت فك الحصار عن المدينة من خارجها، إلا أن المعارك حُسمت في كانون الأول 2016 لصالح اتفاق تم بين كلِّ من روسيا وتركيا، بعد ممانعة سابقة من قبل روسيا وإيران³².

³⁰ الشيعية غير الإيرانيين يدفعون الثمن في حلب"، معهد واشنطن، تاريخ النشر 31-8-2016، <http://bit.ly/2oHLraz>

³¹ المصدر السابق

³² نص الاتفاق على وقف النار والبدء بإخراج الجميع من مدينتين ومقاتلين دون تمييز إلى ريف حلب الغربي - بعد ممانعة سابقة من قبل روسيا وإيران - إلا أن إيران عرقلت عبر مليشياتها الاتفاق، وذلك عندما قامت إحدى الحواجز التابعة لـ "حزب الله" بإيقاف إحدى قوافل التهجير وإنزال جميع الشبان وإجبارهم على الاستلقاء أرضاً، وقامت بمصادرة أموالهم وبعض حوائجهم، وتصفية بعضهم وفق تقارير وشهود عيان، ثم أجبر الجميع على العودة إلى داخل الأحياء المحاصرة.



مخطط يوضح أعداد القتلى من الميليشيات الشيعية في حلب بين كانون الثاني 2015 وأيلول 2016 (المصدر السابق)

6-1-1 معارك الغوطة الشرقية³³

تعتبر الغوطة الشرقية من أوائل المناطق السورية التي شاركت في الثورة منذ أيامها الأولى، حيث انتشرت المظاهرات السلمية في مختلف مدنها وبلداتها، والتي تصدت لها قوات النظام بشراسة، وقامت على إثرها بحملات مدهامات واعتقال طالت العديد من أبنائها.

خرجت الغوطة الشرقية عن سيطرة نظام الأسد عام 2012، وتم حصارها بشكلٍ كامل في أواخر عام 2013، إلا أن دخول ميليشيات المشروع الإيراني الأجنبية على خط المواجهة العسكرية خاصة العراقية واللبنانية، لم يظهر بشكلٍ واضح إلا في معارك المليحة التي اندلعت منتصف عام 2014، حيث برزت العديد من الرايات والأسماء منها لواء "أبو الفضل العباس" وحركة "النجباء" و"فيلق القدس".

أوكل للميليشيات العراقية مهام الهجوم وكسر الدفاعات الأولى لفصائل المعارضة، بينما لم توكل إليها مهام الرباط والحصار، فقد غلب على نمط قتال هذه الميليشيات عدم الانتظام وقلة التدريب، حيث كان أغلب عناصرها أقرب للمرتزقة، يطالبون دائماً بمستحقاتهم المالية، ويهربون من نقاط رباطهم عند

وقد اشترطت إيران لإتمام عملية التهجير إخلاء جرحى ومدنيين من كفريا والفوعة المحاصرتين بريف إدلب، حيث استأنفت عمليات التهجير خرجت آخر دفعة من المحاصرين مساء الخميس الثاني والعشرين من كانون الأول عام 2016.

المصدر: "حلب، الحصار ومقاومته والخروج الكبير"، موقع الجمهورية، تاريخ النشر 9 كانون الثاني 2017، <http://bit.ly/32YGTex>

³³ من لقاء أجراه فريق المركز مع عسكريين في الغوطة الشرقية في أيلول 2019.

"ميليشيات شيعية" وقوات روسية تشارك في اقتحام الغوطة"، موقع أورينت نت، تاريخ النشر 11-3-2018، <http://o-tv.uvR2>

"الغوطة الشرقية: إيران تبحث عن جثث مقاتليها"، موقع المدن، تاريخ النشر 28-3-2019، <http://bit.ly/2n9uq8C>

تعرضهم للضغط، ولم يكونوا يقاتلون عن قناعة وعقيدة، رغم الخطاب الديني الحاضر دائماً حول أنهم يقاتلون "النواصب" ويحمون المراقد الشيعية³⁴.

وعلى الرغم من ضعف التدريب العسكري عند المليشيات العراقية، إلا أنها كانت قادرة في بعض الأحيان على كسر دفاعات فصائل الغوطة خلال الاشتباكات نتيجة المشاركة المندفعة بأعداد كبيرة، حيث لوحظ على عناصرها تعاطيهم للمنشطات – يعتقد أنها حبوب الحشيش- قبل مشاركتهم في بعض المعارك خاصة في المعارك الأولى التي شاركوا فيها عام 2014 كمعركتي المليحة والدخانية³⁵.

ومن جهة أخرى كان هناك حضور لافت لمليشيات "حزب الله" في معارك الغوطة المتعاقبة، حيث تمركزت تلك المليشيات في الجهة الشرقية من الغوطة الشرقية (منطقة المرج)، التي تُعد نقطة التقاء الغوطة الشرقية بمناطق القلمون، واستلمت عناصر الحزب نقاط الرباط الحساسة وإدارة المعارك والهجوم، وكانت أوامرهم سارية حتى على ضباط من جيش النظام، وقد قادت عناصر "حزب الله" المعارك الأعنف على الغوطة الشرقية في تلك الجبهات، وتميز مقاتلو الحزب عن غيرهم من مقاتلي المليشيات الأخرى بالاستعداد البدني والتدريب العسكري، والتجهيز الجيد بالعتاد والسلاح، بالإضافة إلى الدافع الطائفي والأيديولوجي الذي دفعهم لرفض الاستسلام، والقتال حتى الموت في بعض المعارك³⁶.

كما كان لعناصر "حزب الله" الدور الأكبر في إطباق الحصار على الغوطة، فقد كان لهم الدور الأبرز في نصب الكمائن وتلغيم طرقات التهريب، ورصدها بمناظير حرارية متطورة خاصة إيرانية الصنع تم اكتشافها مع بعض الجثث التابعة لهم.

مُنّي "حزب الله" ومليشيات المشروع الإيراني بخسائر كبيرة في الغوطة الشرقية يصعب تقديرها، بينهم قادة عمليات وضباط فقد كانت جهات الغوطة الشرقية من أمنع الجبهات وأصعبها على قوات النظام، إلا أن دور تلك المليشيات التابعة لإيران تراجع في معركة الغوطة الأخيرة لصالح قوات محلية تتبع لروسيا، باستثناء مشاركة لبعض مليشيات المشروع الإيراني المحلية التي عملت إلى جانب الحرس الجمهوري كميليشيا (لواء الإمام الحسين) في منطقة حرسنا وميليشيا "لواء القدس" الفلسطيني³⁷.

ومن الجدير بالذكر أن مجموعات استخباراتية تابعة لمليشيات المشروع الإيراني ضمت إيرانيين ولبنانيين وعراقيين، بدأت في مطلع عام 2019، عمليات بحث مكثفة عن جثث عناصرها ممن قتلوا خلال معارك

³⁴ من لقاء أجراه فريق المركز مع أحد المسؤولين العسكريين في الغوطة الشرقية في أيلول 2019

³⁵ أشارت بعض الشهادات لمقاتلي المعارضة في الغوطة الشرقية، أن المليشيات العراقية التي شاركت في معارك المليحة والدخانية كقوات هجومية أظهرت اندفاعاً عالياً - لم تلاحظ في مواضع أخرى- رغم عدم امتلاكهم لمهارات قتالية، فقد ركض العديد من عناصر تلك المليشيات باتجاه نيران الثوار وجهاً لوجه دون تفكير، رغم أعداد القتلى والجرحى الكبيرة التي تساقطت أمامهم والتي قدرت بما يقارب 500 قتيل من عناصر تلك المليشيات في معارك المليحة فقط.. المصدر السابق.

³⁶ المصدر السابق

³⁷ "مليشيات "شيعية" وقوات روسية تشارك في اقتحام الغوطة (صور+ فيديو)", أورينت نت، تاريخ النشر 2018-3-11، <http://o->

الغوة الشرقية في مناطق المرج والمليحة وأطراف جوبر ودوما، بالتنسيق مع فرع المخابرات الجوية في مدينة حرستا مستعينة بعناصر "المصالحات"³⁸.

مما سبق يمكن أن نلخص الاستراتيجيات العسكرية التي اتبعتها "مليشيات المشروع الإيراني" في القتال في الجدول التالي:

عملية تهجير	اتفاق سيامي ذوطابع دولي	اتفاق محلي مع أطرف إيرانية أو روسية	حسم عسكري كامل	مشاركة للمليشيات الأجنبية	مشاركة للمليشيات عراقية	مشاركة للمليشيات حزب الله	مشاركة لقوات إيرانية	تغطية جوية روسية في معارك الحسم	حصار خانق	المنطقة
✗			✗			✗			✗	القصبر وتلكلخ
✗		✗				✗			✗	حمص القديمة
		✗			✗	✗				القلمون الغربي
✗	✗					✗			✗	الزبداني ومضابا
✗		✗			✗		✗		✗	داريا
✗		✗		✗	✗		✗	✗	✗	الغوة الشرقية
✗	✗			✗	✗	✗	✗	✗	✗	حلب الشرقية

⁴⁰ تهجير اختياري غير كامل



³⁹ تهجير إجباري كامل



مشاركة محدودة



جدول يوضح التكتيكات التي استخدمت في المعارك السابقة

³⁸ " الغوة الشرقية: إيران تبحث عن جثث مقاتلها"، موقع المدن، تاريخ النشر 2019-3-28، <http://bit.ly/2n9uq8C>

³⁹ التهجير الكامل: هو التهجير الذي نص على خروج جميع من بقي في المنطقة من مدنيين أو عسكريين دون استثناء وبقيت المنطقة بعده فارغة تماماً من السكان

⁴⁰ التهجير الاختياري غير الكامل: نصت اتفاقيات التهجير على خروج من يرغب من المدنيين والعسكريين إلى الشمال السوري، وبقاء من يرغب في منطقتة بعد أن يقوم الذكور بتسوية أوضاعهم والتي تعني التحاق المتخلفين منهم بالخدمة العسكرية أو الاحتياطية وتوقيع عناصر فصائل المعارضة الراغبين بالبقاء على اتفاقية مصالحة، تقضي بانضمامهم إلى بعض القطع العسكرية التابعة للجيش كالفيلق الخامس الذي أنشأته روسيا

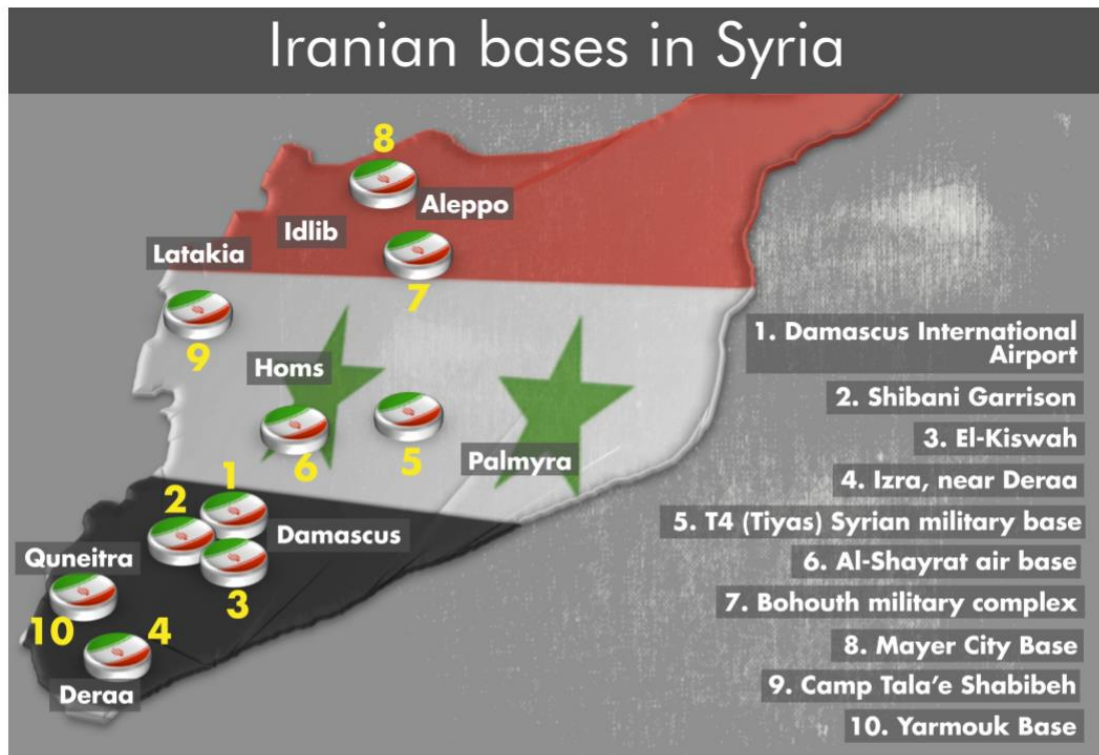
1-2- القواعد العسكرية ومناطق الانتشار:

لم تكتفِ إيران بحشد وتجنيد واستيراد المقاتلين للقتال في سوريا فحسب، بل سعت إلى تعزيز وترسيخ وجودها العسكري من خلال إنشاء قواعد عسكرية في ثكنات قديمة وبناء قواعد جديدة، حيث تم رصد وجود 10-13 قاعدة عسكرية تتمركز فيها المليشيات التابعة لها في سوريا تتوزع وفق الجدول التالي⁴¹

اسم القاعدة	مكان الوجود
مركز قيادة الحرس الثوري الإيراني الرئيسي	تعرف باسم "المبنى الزجاجي"، وتقع داخل مبنى مطار دمشق الدولي. يتم من خلالها نقل قوات الحرس الثوري الإيراني جواً إلى سوريا وداخل سوريا. ويتمركز فيها ما بين 500 و 1000 موظف.
مركز جديدة الشيباني	كانت مقرّاً للحرس الجمهوري التابع لقوات الأسد في السابق وقد تحولت إلى قاعدة للمليشيات الإيرانية عام 2016، حيث يتواجد فيها قرابة 3000 عنصر من قوات الحرس الثوري الإيراني وقوات "الفاطميون" الأفغانية و"حزب الله".
قاعدة الكسوة	تقع في بلدة الكسوة جنوب دمشق، وهي مخصصة لإيواء الجنود والمركبات. تم استهدافها بغارة جوية إسرائيلية عام 2017
قاعدة الجبهة الجنوبية	يقع مركز قيادة الحرس الثوري الجنوبي بالقرب من مدينتي ازرق ودرعا، حيث تتمركز وحدات الدفاع الجوي المزودة بصواريخ (أرض - جو) ويتواجد فيها المقاتلون التابعون للحرس الثوري الإيراني.
مركز المنطقة الوسطى	1- قاعدة مطار T4 العسكرية السورية، على بعد 50 كم من تدمر، بالقرب من حمص، استخدمت كنقطة انطلاق لعناصر الحرس الثوري الإيراني في المعارك ضد "داعش" في مدينة تدمر الأثرية عامي 2015 و 2016، ويتواجد فيها بعض قوات الكوماندوز الروسية 2- قاعدة الشعيرات الجوية بالقرب من حمص
الجبهة الشمالية	1- مجمع البحوث العسكري جنوب حلب، وهو يتبع جيش النظام السوري، تحول في عام 2016 إلى قاعدة تضم عناصر من قوات الحرس الثوري الإيراني وعناصر من الأفغان والعراقيين و"حزب الله"، ويعتقد أنها مركز لتصنيع الأسلحة الكيميائية ووقود الصواريخ 2- قاعدة مدينة ماير قرب قرية نبل.

⁴¹ "Briefing | Iranian forces and Shia militias in Syria", bicom website, 12 March 2018, <http://bit.ly/2IOejCU>

يقع مركز قيادة الحرس الثوري الإسلامي في معسكر طلائع الشيبية، جنوب اللاذقية بالقرب من طرطوس، والذي أصبح مركزاً لقوات النظام وقيادات الحرس الثوري الإيراني.	جبهة الساحلية
1- قاعدة اليرموك في منطقة القنيطرة والعديد منها بالقرب من دمشق 2- قاعدة ضمير الجوية 3- قاعدة الإمام الحسين في منطقة السيدة زينب بريف دمشق 4- قاعدة جبل الرماد الشرقي	قواعد أخرى



توزع القواعد الإيرانية العسكرية في سوريا⁴²

ومن جهة أخرى، ورغم تكرار الحديث والإعلان عن انسحاب بعض المليشيات العراقية وعناصر من "حزب الله" من بعض المواقع في سوريا، إلا أن الواقع على الأرض يشير إلى عكس ذلك، حيث تظهر العديد من الشهادات القادمة من داخل سوريا، أن تلك المليشيات تقوم بإعادة تموضع لها يمكن متابعتها وفق ما يلي:

⁴² المصدر السابق

مليشيات "حزب الله":

قامت مليشيا حزب الله بعملية إعادة انتشار في مناطق وجودها في مناطق القلمون الغربي والشريط الحدودي اللبناني وريف حمص، بالإضافة إلى تركيزها على الانتشار في مناطق الجنوب السوري وفق منظومة عسكرية متماسكة، بدأت تعتمد في جانب كبير من قدراتها على عناصر محلية يُقدر عددها بنحو ألفي عنصر تمّ تجنيدهم لصالحه وبعضهم قادةً وعناصر سابقون في فصائل الجيش الحر ممن دخل في مشاريع "المصالحات"⁴³.

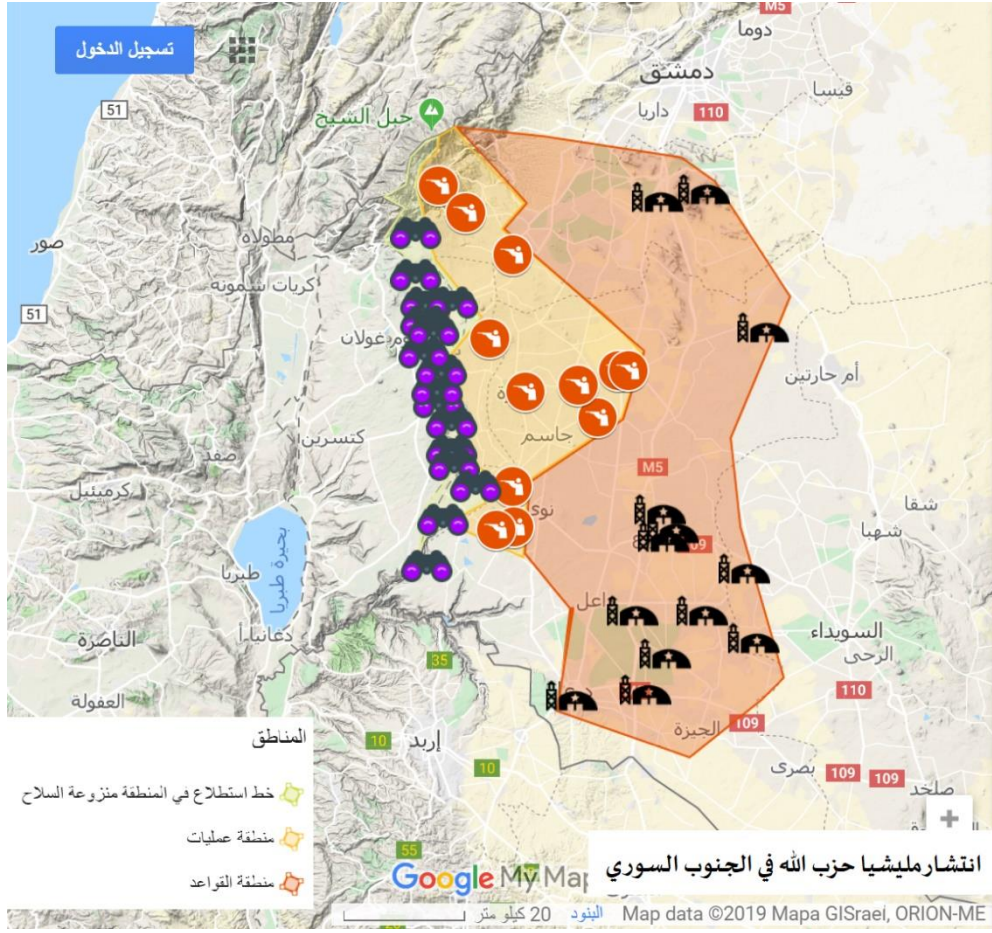
ومن الجدير بالذكر أن "حزب الله" لا يُظهر أيّ نشاطٍ غرب خطِّ وقف إطلاق النار (برافو 1974) إلا أنّ انتشار مجموعاته المحلية يبدو واضحاً شرق الخط، بينما يتركز وجود مليشيا "حزب الله" في المنطقتين الثانية (منطقة العمليات) والثالثة (منطقة القواعد) بشكلٍ متداخل مع قوات نظام الأسد، خاصة مع فرعي أمن الدولة والمخابرات الجوية، ما يتيح له قدراً أكبر من التمويه، وقد تمكّن "حزب الله" من تجنيد عدد من المجموعات المحلية مختلفة المهام والتي يمكن تقسيمها إلى⁴⁴:

- مجموعات الرصد والاستطلاع التي تنتشر في المنطقة الأولى غرب محافظة درعا ويقدر عددهم بـ 100 عنصر مزودين بكاميرات حرارية وقناصاتٍ وأسلحة رشاشة خفيفة يقومون بمهام الرصد والاستطلاع، بالإضافة إلى تسهيل حركة قيادات من "حزب الله" خلال زيارتهم للمنطقة.
- المجموعات المحلية ذات المهام العمليّة: وتنتشر في وسط محافظة درعا (منطقة العمليات) يقدر عددهم بين 100-200 عنصر يتلقون تسليحاً خاصاً وتدريباً مباشراً، ويتم انتقاؤهم بعناية فائقة من قبل قيادة الحزب في جنوب سوريا بشكلٍ مباشر وخاصة فوج الجولان.
- المجموعات المحلية ذات المهام اللوجستية (مجموعات متنوعة من درعا والسويداء)، وهي أشبه بالمرتزقة، مهمتها تسهيل حركة مجموعات وعناصر الحزب ونقل السلاح والذخائر بين المناطق، بالإضافة إلى نقل المخدرات وترويجها في بلدات درعا والقنيطرة.

⁴³ تقرير استقصائي صادر عن تلفزيون سوريا استند إلى شهادات مصادر محلية شملت ناشطين وأهالي وقادة ميدانيين سابقين، المصدر: بالخرائط والصور.. مواقع مليشيا حزب الله وعمالها جنوب سوريا" موقع تلفزيون سوريا، تاريخ النشر 2019-3-21،

<http://bit.ly/2m4Xhu4>

⁴⁴ المصدر السابق



خريطة توضح مناطق انتشار مليشيات "حزب الله" وتوابعها في الجنوب السوري⁴⁵

45 تشير الخريطة إلى انتشار وحدات الرصد اقصى غرب محافظة درعا في منطقة خط الاستطلاع (المناظر البنفسجية)، بينما تنتشر المجموعات المحلية التي تم تدريبها على العمليات القتالية وتجنيدتها لصالح "حزب الله" في وسط المحافظة (النقاط الحمراء)، بينما يتركز وجود عناصر مليشيا "حزب الله" اللبنانية في القواعد العسكرية المنتشرة شرق المحافظة (النقاط السوداء) ويمكن تفصيل المناطق التي تنتشر عليها تلك المجموعات وفق الجدول التالي:

المنطقة الأولى (خط استطلاع في المنطقة منزوعة السلاح)	المنطقة الثانية (منطقة العمليات)	المنطقة الثالثة (منطقة القواعد العسكرية)
1. حضر	1. تل حريون	1. جبل المانع
2. جبائا الخشب	2. تل الشحم	2. الفرقة الأولى
3. الحرية	3. تل أحمر	3. اللواء 34
4. خان أرنبه	4. اللواء 15	4. اللواء 52
5. بريقة	5. كتبية جدية	5. مطار الثعلة
6. كودنة	6. الفرقة التاسعة	6. اللواء 12
7. بير عجم	7. تل الجابية	7. الفرقة الخامسة
8. رويحينة	8. تل جموع	8. منطقة خربة غزالة
9. الحميدية	9. تل مسخرة	9. الفوج 175
10. القحطانية	10. اللواء 43	10. الغارية الشرقية
11. الصمدانية	11. رجم بنتو	11. صيدا
12. العشة	12. بيت جن	12. تل خروف

مناطق انتشار المليشيات الأحنينية (العراقية والباكستانية والأفغانية)

من الصعب تتبع مناطق انتشار هذه المليشيات؛ نظراً لحركتها الدائمة والمتداخلة فيما بينها، إلا أنه من الملاحظ أن هذه المليشيات تتركز في محيط مدينة دمشق (منطقة جنوب دمشق كيلدا وبيلا) وبلدة السيدة زينب والحسينية في الغوطة الشرقية، وعلى امتداد الحدود الشرقية مع العراق، وخاصة في البوكمال والمعبر الحدودي، إضافة إلى انتشار واضح في مدينة دير الزور وريفها.

مناطق انتشار المليشيات المحلية:

تتركز معظم المليشيات المحلية التي لا تزال تتبع لإيران وأهمها لواء الباقر في مدينة حلب وبادية حمص، وفي محيط مدينة دمشق وبلدة السيدة زينب، وفي مدينة دير الزور وريفها والحسكة وتدمر على نحوٍ أقل.

3-1- خسائر مليشيات المشروع الإيراني في سوريا:

لا توجد أعداد موثقة لخسائر مليشيات المشروع الإيراني في سوريا، إلا وفق ما نشرت على مواقع بعض المليشيات الرسمية التي وثقت قتلها، كميليشيا "النجباء" التي بلغت خسائرها نحو 500 قتيل، و1000 جريح، وأعداد من الأسرى أغلبهم في حلب، وما نقل عن حركة "مجاهدي خلق" الإيرانية المعارضة حول المعلومات التي حصلت عليها من داخل مؤسسة قوات الحرس الثوري الإيراني، تشير إلى أن خسائرها البشرية في سوريا تجاوزت 10 آلاف قتيل من اللبنانيين، والأفغان، والباكستانيين، والعراقيين وحتى الإيرانيين عدا عن آلاف الجرحى والأسرى⁴⁶.

فيما كشفت إحدى الصحف الإيرانية عام 2016 أن عدد قتلى ميليشيات إيران الشيعية في سوريا بلغ 2700 مقاتل يتبعون لـ "فيلق القدس" ولواء "فاطميون" و"زينبيون"، بينهم 90 من "رجال الدين وطلبة العلم الشرعي"، و50 من خريجي الجامعات وطلابها من السوريين الشيعة، و10-15 شخصاً دون السن القانوني، بالإضافة إلى خسارتها عدداً من قياداتها العسكرية كالجنرال "حسين همداني" نائب قائد "فيلق القدس" التابع للحرس الثوري الإيراني و10 جنرالات آخرين، و69 ضابطاً في الحرس الثوري برتبة عميد وعقيد⁴⁷.

13. مدينة درعا	13. الرفيد
	14. غدير البستان
	15. صيدا الحانوت
	16. جملة

⁴⁶ "المليشيات العراقية في سوريا: الدور والمستقبل" مركز الجزيرة للدراسات، تاريخ النشر 1-3-2019، <http://bit.ly/2ITfjPG>

⁴⁷ "صحيفة إيرانية تكشف للمرة الأولى أعداد قتلى المليشيات الشيعية في سوريا"، موقع أورينت نت، تاريخ النشر 4-11-2016،

<http://o-t.tv/nf8>

وقد قدرت خسائر ميليشيا "حزب الله" اللبناني في سوريا، وفقاً لما أعلن عنه بشكل رسمي بـ 1233 قتيلاً سقطوا خلال المعارك الدائرة في سوريا، بينهم 77 ضابطاً، وقد تصدرت محافظة النبطية القائمة بـ 385 قتيلاً، يليها بعلبك الهرمل بـ 288 قتيلاً، ومن ثم محافظة جنوب لبنان بـ 271 قتيلاً و72 قتيلاً من سكان البقاع⁴⁸.

ثانياً- الأدوار غير القتالية للمليشيات المشروع الإيراني في سوريا:

استفادت مليشيات المشروع الإيراني من الدور العسكري الذي قامت به في سوريا في توسيع دائرة نشاطاتها ونفوذها غير العسكري بما يحقق الأجندة والأهداف الإيرانية، حيث سمح وجودها المكثف في بعض المناطق – وخاصة في المناطق الشرقية- في ممارسة أدوار أخرى، ومحاولة بسط هيمنة واضحة حتى على المؤسسات المدنية والحكومية؛ من أجل ترسيخ وجودها وزيادة تغلغلها في المجتمع السوري بشكلٍ يسمح لها بالبقاء في مراكز التأثير، في حال أجبرت على الخروج بشكلها العسكري من سوريا.

ومن هذه الأنشطة غير القتالية:

1-2- تجنيد السكان المحليين تحت ستار النشاطات المدنية:

ويظهر ذلك بشكل جلي في المناطق الشرقية قرب الحدود العراقية، وخاصة مع الانتشار الكثيف والمركز لقوات الحرس الإيراني والعديد من المليشيات العراقية في المنطقة، حيث يلاحظ أن معظم النشاط المدني الذي يجري هناك تحت ستار "إنساني أو ديني أو علمي" يسعى لتجنيد شباب المنطقة وخاصة من السنة ضمن صفوف المليشيات العراقية، من خلال تقديم إعراءات مالية ورواتب تصل إلى 200 دولار، بالإضافة إلى تسهيلات أمنية من خلال منحهم بطاقات هوية تفيد بانتمائهم إلى "فيلق القدس"؛ ليتسنى لهم عبور نقاط التفتيش دون إزعاج، حيث يتشيع غالب هؤلاء المجندين لزيادة الامتيازات التي يتلقونها⁴⁹. ومن جهة أخرى استغلت هذه المليشيات الملاحقات الأمنية للعديد من الشباب وعناصر المصالحات؛ نتيجة تخلفهم عن الخدمة العسكرية أو الاحتياطية خاصة في درعا وريف دمشق، لتجنيدهم في صفوفها، مستغلة قدرتها على إيقاف الملاحقات الأمنية بحقهم، وتوفير غطاء يحميهم وعائلاتهم من أي انتقامات، بالإضافة إلى تقديمها امتيازاتٍ أفضل، حيث قدر عدد المجندين في درعا من شباب السنة ضمن صفوف ميليشيا "أبو الفضل العباس"، و "الفرقة الرابعة" و ميليشيا "حزب الله" بما يقارب 2500 شاب ينشطون

⁴⁸ دراسة مسحية نشرها معهد دول الخليج العربية في واشنطن

المصدر: دراسة جديدة تكشف حجم الخسائر التي تكبدها "حزب الله" في سوريا، موقع أورينت نت، تاريخ النشر 2018-10-13، <http://o->

t.v/xLZ

"Iran Moves to Cement Its Influence in Syria", By Raja Abdulrahim and Benoit Faucon, The wall street journal website, ⁴⁹

26/3/ 2019, <https://on.wsj.com/2ku8WSM>

على شكل مجموعات تمتد من بلدة بيت جن بأقصى الريف الشمالي الغربي للقنيطرة، وصولاً لمنطقة اللجاة شرق درعا والموازية للحدود الإدارية لمحافظة السويداء⁵⁰.

وكما يسعى "حزب الله" حالياً إلى تجنيد أقارب بعض المقاتلين من "داعش" في حوض اليرموك، عبر مساعدة هؤلاء المقاتلين على الانتقال إلى بادية السويداء، و تمكن "حزب الله" من تجنيد خلية محلية صغيرة من سكان منطقة فض الاشتباك (آندوف) التابعة للأمم المتحدة قبل إعادة انتشار القوات الدولية فيها، وذلك بعلم قوات الجيش الروسي الموجودة في المنطقة وتجاهلها لنشاطه⁵¹.

2-2- تيسير أنشطة التشيع:

أظهرت العديد من الصور والأخبار الواردة من مناطق متفرقة في سوريا تزعم قادة مليشيات المشروع الإيراني وعناصرهم المقاتلة الاحتفالات الشيعية والأنشطة الاجتماعية والدينية، فتارةً يظهر بعض من المقاتلين الأجانب داخل المسجد الأموي يقومون بأداء "لطمية" في ذكرى عاشوراء⁵²، وتارةً ينظم قادة هذه المليشيات مجالس العزاء ومواكب اللطم والمهرجانات الخطابية، بالإضافة إلى الدروس والخطب الدينية في مقراتهم العسكرية والإدارية، وعلى الطرقات⁵³.

ومن جهة أخرى رصدت بعض التجاوزات التي قامت بها هذه المليشيات من خلال سيطرتها على بعض المساجد في المناطق التي سيطرت عليها، فقد أجبرت هذه المليشيات -بالتعاون مع النظام السوري- الأئمة والمؤذنين في عددٍ من مدن ريف دير الزور كمدينتي "الميادين" و"البوكمال"، وبلدة "صبيخان" على رفع الأذان على الطريقة الشيعية، واعتقلت هذه المليشيات ما يزيد عن 20 إماماً ومؤذناً رفضوا الانصياع للأوامر، فيما قام نظام الأسد برفع أجور الأئمة والمؤذنين ممن انصاعوا للأوامر، ومنحهم بطاقات أمنية خاصة، تسهل حركتهم وتيسر أمورهم في مؤسسات النظام⁵⁴.

3-2- التغيير الديموغرافي:

يظهر دور المليشيات الشيعية في عملية التغيير الديموغرافي بشكلٍ غير مباشر، من خلال قيامها بالعديد من الممارسات التي تهدف إلى إعاقة عودة النازحين والمهجرين إلى مناطقهم وبلداتهم، أو مصادرة أملاكهم

⁵⁰ " تحت ستار الإغاثة والتجنيد... هل تسعى إيران لـ "تشيع" درعا والقنيطرة؟" موقع اقتصاد، تاريخ النشر 2019-2-21،

<http://bit.ly/2kHkXEv>

⁵¹ تقرير استقصائي صادر عن تلفزيون سوريا استند إلى شهادات مصادر محلية شملت ناشطين وأهالي وقادة ميدانيين سابقين،

المصدر: بالخرائط والصور.. مواقع ميليشيا حزب الله وعملائها جنوب سوريا" موقع تلفزيون سوريا، تاريخ النشر 2019-3-21،

<http://bit.ly/2m4Xhu4>

⁵² لطمية حسينية من داخل الجامع الأموي في دمشق، صفحة انتهاكات المليشيات الشيعية على الفيس بوك، تاريخ النشر 2019-9-10،

<http://bit.ly/2lTumJa>

⁵³ "عاشوراء السورية: مركزية في حلب.. وهامشية في دمشق!" موقع المدن - تاريخ النشر 2019/09/10، <http://bit.ly/2lSD8qY>.

⁵⁴ "النظام يفرض "الأذان الشيعي" بدير الزور السورية بالتعاون مع مجموعات تابعة لإيران"، وكالة الأناضول، تاريخ النشر 2018-11-19،

<http://bit.ly/2mbxRLf>

بحججٍ شتى أو فرض قيود أمنية أو افتعال حرائق في بعض المناطق الزراعية، أو منع المدنيين من الدخول إلى مناطق محددة بحجة وجود الغام فيها.

ولعلّ المثال الأبرز لعملية التغيير الديموغرافي الذي رعته إيران ونفذته الميليشيات الموالية لها، اتفاقية المدن الأربعة «كفريا والفوعة والزبداني ومضايا» التي تمت الإشارة لها سابقاً، والتي اقتضت إفراغ مدينتي الزبداني ومضايا من سكانها بعد حصار طويل، مقابل نقل أهالي كفريا والفوعة الشيعيتين والمقدر عددهم بـ 30 ألف نسمة إلى مدينة القصير، المقابل السوري لمنطقة الهرمل اللبنانية ذات الغالبية الشيعية، في حين منعت مليشيات "حزب الله" حوالي سبعين ألفاً من أهالي القصير الموجودين في لبنان، من العودة إلى مدينتهم في سعي واضح من "حزب الله" لإقامة شريط حدودي سوري شيعي مع لبنان يشكل عمقاً استراتيجياً يحيي شيعة لبنان في حال حصول تطورات عندهم⁵⁵.

وقد تواردت العديد من الأخبار التي تشير إلى قيام نظام الأسد بتجنيس العديد من المقاتلين الشيعة العراقيين والأفغان والإيرانيين، فقد انتشرت وثيقة مسربة من إدارة شعبة المخابرات العامة التابعة للنظام السوري، تطالب وزارة الداخلية بإدراج قادة الحرس الثوري الإيراني ضمن قيود السجل المدني، ومنحهم أرقاماً وطنية و"خانات"، في حين أشارت بعض التقارير إلى أن عدد من تم تجنيسهم قارب الـ 45 ألف شخص معظمهم من جنسيات إيرانية وعراقية ولبنانية، بالإضافة إلى عددٍ من الجنسيات الآسيوية والعربية، يتوزعون بين مقاتلين في الميليشيات وموظفين في الحوزات والمشاريع الدينية الشيعية، إضافة إلى بعض المقيمين والزائرين⁵⁶، كما كشفت إحدى الصحف اللبنانية أن عدد المجنسين من الشيعة في سوريا بلغ مليوني شخص شملت عناصر الميليشيات الشيعية سواء الإيرانية أو اللبنانية أو العراقية وعائلاتهم⁵⁷.

4-2- إنشاء المربعات الأمنية، ومناطق النفوذ⁵⁸:

سعت العديد من مليشيات المشروع الإيراني الأجنبية على وجه الخصوص إلى تركيز وجودها في مناطق محددة، تحول بعضها إلى ما يشبه المربعات الأمنية خاصة بعد الاستيلاء على العديد من المنازل وتحولها

⁵⁵ "عن اتفاق المدن الأربع" موقع صحيفة الحياة، تاريخ النشر 2017-3-19، <http://bit.ly/2kQ5Los>

⁵⁶ "مركز دراسات يكشف أعداد المقاتلين الشيعة الحاصلين على الجنسية السورية منذ عام 2011"، موقع نداء سوريا، تاريخ النشر 27

نيسان، 2019، <https://nedaa-sy.com/news/13207>

⁵⁷ "صحيفة النهار: الأسد جنّس 2 مليون "شيعي" لتغيير تركيبة سكان سوريا"، شبكة شام الإخبارية، تاريخ النشر 2019-5-31،

<http://bit.ly/2mWlKHm>

⁵⁸ يقصد بالمربعات الأمنية، مساحة جغرافية تخضع لسيطرة إحدى الجهات الأمنية وتحوي على عدد كثيف من مقراتها، وتخضع لحراسة مكثفة من قبل تلك الجهة المسيطرة، بينما يقصد بمناطق النفوذ مساحات جغرافية تخضع لسيطرة قوة عسكرية، ولا يشترط وجود مقرات أمنية فيها.

إلى مقرات أمنية كما حدث في بلدي الميادين والبوكمال⁵⁹، أو المربع الأمني الكبير الذي أنشأته مليشيات "حزب الله" في مدينة الزبداني⁶⁰.

كما سعت الميليشيات خاصة إلى التمرکز في محيط مقام السيدة رقية في دمشق القديمة، وفي بلدة السيدة زينب جنوب شرق العاصمة والقرى المحيطة بها، في حين ركز كلٌّ من لواء الباقر وحركة "النجباء" انتشارهما في أحياء كبيرة شرق مدينة حلب، وبدوره بسط "حزب الله" نفوذه بشكلٍ شبه تام على بعض المناطق مثل القصير ومحيطها غرب مدينة حمص بالقرب من الحدود مع لبنان، بالإضافة إلى سيطرته على المناطق التي احتلها في القلمون الغربي، وبعض المواقع الاستراتيجية في المنطقة مثل "طلعة موسى" أعلى قمة في سوريا بعد جبل الشيخ، ومنطقة الجرود التي تفصل سوريا عن لبنان⁶¹.

هذا وقد عمدت الميليشيات بعد الاستهداف الإسرائيلي المتكرر لقواعدها إلى إعادة انتشارها في مناطق الساحل السوري في محاولة للاحتواء بمنطقة نفوذ القاعدة الروسية المحمية من الضربات الإسرائيلية، وقام كبار الضباط الإيرانيين بحجز أفضل الفنادق والشقق المفروشة والفلل والقصور الفخمة، ومنع السكان المحليين من الوصول إلى تلك المناطق حمايةً للقيادة الإيرانية، في حين منع نظام الأسد العديد من سكان ريف اللاذقية من دخول قراهم، وتحويلها إلى مقرات لإقامة عناصر من الميليشيات الإيرانية، بينها عدد من القرى المسيحية⁶².

2-5- تغيير هوية المدن التاريخية:

عملت مليشيات المشروع الإيراني ووكلاؤها في المحافظات الشرقية على إقامة مزاراتٍ شيعية جديدة في أماكن ذات أهمية "تاريخية دينية"؛ لتعزيز الحجة التي تذرعوها بها للقدوم إلى سوريا، الأمر الذي تم بموافقة نظام الأسد مقابل استمرار دعم إيران له⁶³.

ومن جهة أخرى، قامت مليشيا "حزب الله" اللبنانية بترميم بعض مساجد مدينة الزبداني في ريف دمشق وتحويلها إلى مزارات ترفع فيها صور قتلى الحزب الذين قضوا في معركة الزبداني، والمقدر عددهم بأكثر من 100 قتيل، حيث يقوم الحزب بتنظيم زيارات دورية لذوي قتلى الحزب من لبنان، ملمحاً لهم بأنه سيكون لهم نصيب من المنطقة عند بدء عملية إعادة الإعمار، كما قام بتغيير أسماء بعض الشوارع في المدينة؛ بهدف جعلها مألوفةً لدى ذوي مقاتلي الميليشيا، وزرع مشاعر الانتماء إليها⁶⁴.

⁵⁹ بالفيديو.. شبكة توثق مقار "مليشيات سرية" في البوكمال، موقع أورينت نت، تاريخ النشر 2019-9-30، <http://o-t.tv/Cz7>

⁶⁰ حزب الله "يرمم مساجد الزبداني ويحولها إلى مزارات"، موقع المدن، تاريخ النشر 2019/01/06، <http://bit.ly/2kGZHi3>

⁶¹ "خريطة النفوذ الإيراني في سوريا"، موقع الجمهورية، تاريخ النشر ١٥ تموز ٢٠١٩، <http://bit.ly/2kDPNh5>

⁶² "احتقان شعبي في اللاذقية من المد الإيراني"، المرصد الاستراتيجي، تاريخ النشر 2019-7-30، <http://bit.ly/2m3z7Qg>

⁶³ "Iran Moves to Cement Its Influence in Syria", By Raja Abdulrahim and Benoit Faucon, The wall street journal website,

26/3/ 2019, <https://on.wsj.com/2ku8WSM>

⁶⁴ "حزب الله" يرمم مساجد الزبداني ويحولها إلى مزارات"، موقع المدن، تاريخ النشر 2019/01/06، <http://bit.ly/2kGZHi3>

كما قامت المليشيات في دير الزور بالسيطرة على المنطقة الواقعة شرقي نهر الفرات، والاستيلاء على المنازل والمركز الثقافي، وتشير تقارير الى قيام حركة "النجباء" وقوات من الحرس الثوري بطرد معظم أهالي مدينة البوكمال وتغيير أسماء المساجد والمسجد العمري في دير الزور الذي تحول اسمه إلى مسجد فاطمة الزهراء، وإقامة مزارات وحسينيات جديدة في المنطقة، ومنع سكان المدينة من السكن أو دفن موتاهم قبل استصدار موافقة أمنية من قبل هذه المليشيات⁶⁵.

2-6- محاولة اختراق بعض مجتمعات الأقليات:

حاولت مليشيات المشروع الإيراني تجنيد عناصر من الدرروز أو المسيحيين، إلا أنها لم تستطع استقطاب أعداد كبيرة منهم، ففي بداية عام 2013 قامت إيران بتأسيس مليشيا درزية ودعمها، حملت اسم "لبيك يا سليمان" ألحقت بـ "حزب الله" السوري، وقدمت لها الدعم والرواتب المغرية، إلا أن المليشيا تفككت عام 2015، نتيجة نفور الدرروز من محاولات التشييع الإيرانية، وقاموا بالاستيلاء على الأسلحة المقدمة لهم، وبيعها وتأسيس مليشيات محلية⁶⁶.

وعقب فشل محاولات التجنيد المباشر، سعى "حزب الله" إلى دعم بعض مجموعات المرتزقة والدفاع الوطني في المنطقة بالمال، وبالتالي تمكن من السيطرة غير المباشرة على 60% من المليشيات المسلحة في السويداء، والتي استخدمها في تأجيج الصراع، وتعزيز الفلتان الأمني ونشر الفوضى⁶⁷. ومن جهة أخرى عمل "حزب الله" على احتكار تجارة السلاح الثقيل، من خلال وسطاء محليين قاموا بشراء السلاح الثقيل من فصائل المصالحات ونقلها إلى مراكز وجوده، إلى جانب قيامه بتجنيد عددٍ من المجموعات الدرزية البدوية (قرابة 300 شخص)؛ للقيام بعمليات نقل المخدرات وتهريبها إلى الحدود الأردنية وتأمين الطرق⁶⁸.

⁶⁵ صفحة انتهاكات المليشيات الإيرانية في سوريا على الفيس بوك، تاريخ النشر 29-8-2019، <http://bit.ly/2lUsMa4>

ملاحظة: هذه الصفحة تتبع لمجموعة من الناشطين على الأرض في المحافظات الشرقية، يقومون بنقل الحدث وتقديم المعلومات مدعومة بالصور والفيديوهات، وتأخذ عنهم العديد من الجهات الإعلامية السورية وغيرها.

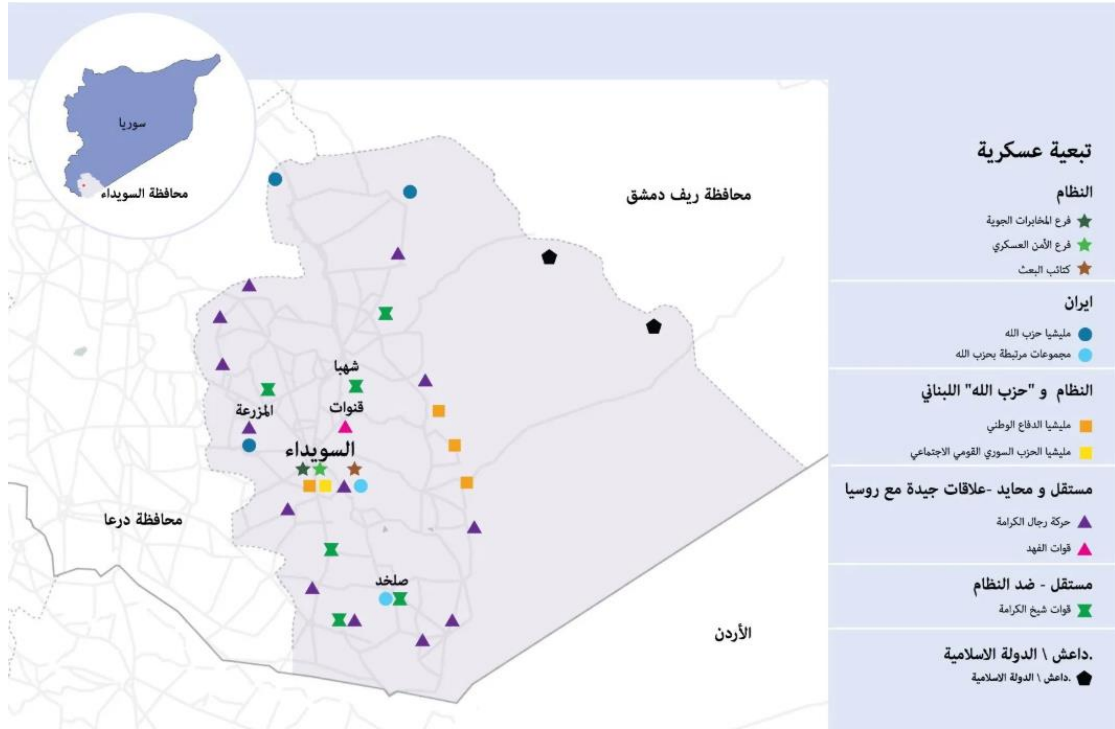
⁶⁶ "دروز السويداء، عودة النظام المشروطة بالصراعات الإقليمية والمحلية"، موقع جريدة جسر الالكتروني، تاريخ النشر 3-8-2019،

<http://bit.ly/2kJoD8s>

⁶⁷ المصدر السابق

⁶⁸ المصدر السابق

خريطة: مجموعات مسلحة ومليشيات في محافظة السويداء وتبعيتها



خريطة توضح أماكن تواجد بعض المليشيات التابعة لإيران و"حزب الله"⁶⁹

7-2- توسيع دائرة النفوذ الاجتماعي والسياسي:

تسير بعض المليشيات التابعة لإيران على خطى "حزب الله" اللبناني من حيث تحقيق امتداد سياسي لها، حيث تظهر بعض المليشيات العراقية دعماً لبعض السياسيين ونواب مجلس الشعب ورجال الدولة، فقد سلم "أوس الخفاجي" قائد مليشيا "أبو الفضل العباس"، مفتي نظام الأسد أحمد حسون "درع العباس" على سبيل الإشادة والتكريم⁷⁰، بينما قام مؤسس مليشيا جيش الامام المهدي السورية، بإنشاء حزب بداية عام 2012 باسم حزب الاصلاح الوطني تركز نشاطه في منطقة طرطوس ومنطقة وادي العيون وريف حماة الغربي⁷¹.

كما قدم لواء الباقر أحد المليشيات الشيعية السورية مرشحاً تابعاً له (عمر حسين الحسن) في الانتخابات النيابية عام 2016، وأرسل وفداً سياسياً إلى مؤتمر سوتشي 2018 الذي تم برعاية روسية،

⁶⁹ المصدر السابق

⁷⁰ "حسون" يتلقى درعا "تكريماً" من أهم زعماء المليشيات الطائفية في سوريا"، موقع زمان الوصل، تاريخ النشر 12-10-2016 ،

<http://bit.ly/2mmDXIO>

⁷¹ تعرف على مليشيا جيش المهدي السورية"، موقع مراسل سوري، تاريخ النشر 1-12-2014، <http://bit.ly/2lQmHeN>

وأعلن دعمه الصريح للمليشيا الحوثيين في اليمن⁷²، في حين استطاع هذا اللواء فرض هيمنته على بقية العشرات في حلب وريفها كالحديديين وبري والعساسنة، وإجبارها على مبايعته، وإعلان الولاء له في مؤتمر عشائري عقده في الأحياء الشرقية في حلب منتصف العام 2018⁷³.

وتظهر وثيقة مسربة مقدمة من جهة تُمثل مليشيا "قوات الرضا" الشيعية العاملة في حمص- والمجسوبة على حزب الله - إلى نظام الأسد تطالب فيها بتمكين "العلماء" والكوادر العسكرية الشيعية السورية على غرار نظرائها من كوادر "حزب الله"، من أجل أن يكونوا "نواة لعمل مؤسسي مستقبلي"، كما طالبت هذه الجهة بضرورة ضمان تمثيل الشيعية في مفاصل الدولة والدوائر الرسمية كافة "أسوةً بباقي الطوائف"، حتى لو تطلب ذلك تشكيل حزبٍ علماني للدفاع عن تلك المصالح، بالإضافة إلى مساعدة ممثلها على دخول مجلس محافظة حمص ومجلس المدينة والبلديات والشعب والفرق الحزبية، ووضع أحد كوادرها كمدير عام لإحدى المديرية الأساسية في المحافظة، وتعيين عدد مناسب من أعضاء مجلس الشعب عن محافظة حمص، وتسليم أحد الكوادر منصب مستحق في إحدى الوزارات التنفيذية⁷⁴.

2-8- شراء العقارات:

نشطت عملية شراء العقارات في المحافظات المتاخمة للحدود العراقية، حيث سعى عدد من الوكلاء المحسوبين على الميليشيات النافذة في المنطقة، إلى شراء العقارات بموجب قانون الملكية المتنازع عليها وحولوها إلى مدارس تدرس باللغة الفارسية، أو مزارات شيعية⁷⁵.

كما برز نشاط واضح لبعض العائلات الشيعية السورية المقربة من ميليشيا "حزب الله" وتنتهي بأصولها إلى منطقة البقاع اللبنانية، في شراء العقارات والأراضي الزراعية وخاصة في ريف دمشق مثل بلدات الزيداني والمليحة كزبدین وحتيتة الحرش وبلدتي الشبعا وحتيتة التركمان المطلتين على طريق مطار دمشق الدولي، ومناطق جنوب دمشق كيلدا، ببيلا وبيت سحم، حيث تجري عملية البيع والشراء بشكلٍ رسمي وقانوني، مستغلين حاجة السكان وعدم قدرتهم على إعادة ترميم المنازل المهدامة، والتي يتم تشييد مجمعات سكنية جديدة مكانها يتوقع أن تكون مقبرات؛ لتوطين عائلات الميليشيات الشيعية⁷⁶.

⁷² "Iran Is Outpacing Assad for Control of Syria's Shia Militias", by Phillip Smyth, Washington Institute, 12-3- 2018,

<http://bit.ly/2IV2STw>

⁷³ "حلب: كيف أصبح 'لواء الباقر' حجر عثرة بوجه الروس؟"، موقع نورسوريا، تاريخ النشر 2019-3-22.

<https://syrianoor.net/article/23107>

⁷⁴ "انبعاث الشيعية" مركز كارنغي لدراسات الشرق الأوسط، تاريخ النشر 4-5-2017، <http://bit.ly/2kPDvCg>

"مليشيا الرضا: الحساسية المزدوجة من النظام و"حزب الله"، موقع المدن، تاريخ النشر 2017-4-22، <http://bit.ly/2m2dShN>

⁷⁵ "Iran Moves to Cement Its Influence in Syria", By Raja Abdulrahim and Benoit Faucon, The wall street journal website,

26/3/ 2019 , <https://on.wsj.com/2ku8WSM>

⁷⁶ "طريقة جديدة تلجأ إليها ميليشيا حزب الله وإيران للسيطرة على 'المليحة' بريف دمشق"، موقع أورينت نت، تاريخ النشر: 2019-04-19،

<http://bit.ly/2kDRQSi>

لماذا تشتري "أم علي" العقارات على طريق ببيلا-السيدة زينب؟"، موقع المدن، تاريخ النشر 12/14، <http://bit.ly/2kqAkRI>

وقد قامت هذه الشبكات الوسيطة بشراء كلِّ ما هو معروض للبيع من منازل سكنية سليمة أو مدمرة جزئياً وفيلات ومزارع والأبنية والمنشآت الصناعية والمعامل والورشات الصغيرة، وتمَّ تحويل بعض هذه العقارات إلى شقق فندقية، ومقرات للاجتماعات، حيث تمت عمليات البيع ونقل الملكية بسهولة، بغض النظر عن الوضع الأمني للعقار ومالكة السابق، وعن وجود موافقة أمنية للبيع، أو حجز احتياطي، في محاولة لتحويل المنطقة إلى ما يشبه الضاحية الجنوبية في بيروت.⁷⁷

2-9- النشاطات الاقتصادية غير المشروعة (التهرب، تجارة السلاح والمخدرات):

مارست بعض المليشيات الشيعية وخاصة "حزب الله" عمليات غير مشروعة يمكن اعتبارها شكلاً من أشكال تجارة الحروب، ففي السنوات الأولى من الثورة أنشأ بعض عناصر "حزب الله" شبكات لتهرب المطلوبين عبر الحدود إلى لبنان، من خلال نقلهم ضمن سيارات تابعة لـ "حزب الله" والعبور بهم عبر الحدود دون تفتيش أو تقديم أي أوراق أو جوازات، مقابل مبالغ مالية مرتفعة تراوحت بين 900-1200 دولار للشخص الواحد، كما قام بعض عناصر "حزب الله" ببيع السلاح لبعض فصائل المعارضة في منطقة وادي بردى.⁷⁸

وقد أشارت بعض التقارير إلى نشاط زراعة نبات الحشيش في مناطق سيطرة "حزب الله" اللبناني، وخاصة في محيط مدينة القصير وقراها، وذلك بإشراف قيادات أمنية في الحزب، قامت بتشغيل من تبقى من السكان بأجور يومية لا تتجاوز 20 دولار يومياً، حيث تقوم عناصر الحزب بنقل المحصول عبر طرق خاصة باتجاه القصر والحوش والهمل في لبنان، ليتم تجفيفه وفرزه، ومن ثم تعاد كميات منه للبيع في سوريا والأردن.⁷⁹

كما أشارت وسائل إعلام موالية لنظام الأسد عن وجود مساحات شاسعة مزروعة بنبات الحشيش المخدر، في ريف حماة تمتد على مساحة 4 آلاف متر مربع في منطقة تخضع لنفوذ لواء "زينبيون" و"حزب الله"⁸⁰.

هذا وقد اكتشفت في السنوات الأخيرة العديد من شحنات المخدرات التي خرجت من سوريا، سواء عبر معبر نصيب إلى الأردن في تشرين الثاني 2018، والتي ضبطت فيها أربعة ملايين حبة مخدر، أو عبر السفن البحرية كشحنتي المخدرات التي تم اكتشافها في اليونان داخل سفن قادمة من سوريا في أواخر عام 2018 وفي تموز 2019، حيث يعتقد تورط "حزب الله" اللبناني بهذه العمليات.⁸¹

⁷⁷ المصدر السابق.

⁷⁸ من لقاء أجراه فريق المركز مع أحد ناشطي منطقة عين الفيحة في أيلول 2019

⁷⁹ "ستالينغراد سوريا.. مزرعة حشيش لـ"حزب الله"" موقع المدن، تاريخ النشر 08/09/2019، <http://bit.ly/2mnEwSE>

⁸⁰ "بالصور: مزارع مخدرات لـ"حزب الله" بريف حماة، موقع بلدي نيوز، تاريخ النشر 16 تموز 2017، <https://b-sy.net/fj88usc>

⁸¹ "سوريا الأسد" تتحول إلى أكبر مُصدِّر عالمي للكبتاغون، موقع جيرون، تاريخ النشر 6-6-2019،

<https://geiron.net/archives/156750>

ومن جهة أخرى مارست مليشيات المشروع الإيراني السورية وغير السورية في حلب أنشطة تشبيحية، بهدف الحصول على موارد مالية جديدة لتعويض النقص في الدعم المقدم لها، حيث يشير بيان صادر عن غرفة تجار حلب، أن هذه المليشيات قامت بقطع الطرقات وفرضت الضرائب على مرور بضائع التجار عبر حواجزها (خاصة في الطريق ما بين السلمية وحلب مروراً بخناصر)، كما فرضت الأتاوات على التجار، ومنعت بعضهم من ترميم خاناتهم ودكاكينهم القديمة⁸².

10-2 التغلغل في جيش النظام السوري:

مع تكرار الحديث عن ضرورة خروج إيران من سوريا، بدأت مليشيات مشروعها في سوريا بالتغلغل ضمن بعض قطع الجيش السوري وخاصة الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري المحسوبين على إيران كلواء الإمام الحسين، ولواء سيف المهدي، وبعض تشكيلات لواء "أبو الفضل العباس"، كما أصدرت وزارة الدفاع التابعة للنظام قراراً يقضي بدمج المليشيات "الشيعية" المحلية في جيش النظام، واحتساب سنوات خدمتهم السابقة ضمن الجيش⁸³.

في حين أصدر بشار الأسد قراراً يقضي باعتبار "قوات الرضا" المحلية⁸⁴ – المحسوبة على حزب الله- جزءاً من الجيش السوري، مما يتيح لهم الحصول على رواتب ومستحقاتٍ وتعويضات لعائلات القتلى، مماثلةً لما تحصل عليه القوات النظامية، بالإضافة إلى الرواتب الأساسية التي يتلقونها من إيران⁸⁵.

ثالثاً: الصراعات الداخلية:

على الرغم من سيطرة إيران على جانبٍ كبير من المجال العسكري في سوريا وتحالفها مع روسيا؛ من أجل إبقاء نظام الأسد على سدة الحكم في سوريا حفاظاً على المصالح الاستراتيجية للطرفين، لم تكن بنية المليشيات العسكرية المحسوبة على إيران بالصلابة والتماسك الذي حاولت الإيحاء به، حيث ظهرت صراعات داخلية تحولت إلى مصادماتٍ عسكرية تصاعدت بشكل واضح في الفترة الأخيرة على الرغم من محاولات الاحتواء السريع لها، مما ينذر بإمكانية انفجار قريب؛ نتيجة دخول روسيا على خطٍ إعادة هيكلة القوات العسكرية.

⁸² حلب: التوتريين روسيا وإيران يتصاعد.. تجارياً"، موقع المدن الإلكترونية، تاريخ النشر 2019/08/06. <http://bit.ly/2kp8mW8>

⁸³ شمل القرار كلاً من "لواء الباقر" الشيعي والذي أصبح اسمه لواء 137 ويتبع للفرقة 17، و"لواء البعث" الذي يضم أبناء قريتي كفريا والفوعة الشيعيتين، في حين ألحق لواء "الدفاع الوطني" الذي يتألف من أبناء بلدة الزهراء الشيعية بريف حلب باللواء "135 مدرع" التابع لقيادة المنطقة الشمالية في حلب، وألحقت كتيبة "نبل" بالفرقة الرابعة، بينما ألحقت كل من كتيبة "شهداء نبل"، وكتيبة "آذار" بالفرقة "14"، وودمجت الكتائب التابعة لـ "الدفاع الوطني" في كل من كفريا والفوعة بالحرس الجمهوري، بينما ألحقت كتيبة "أشبال القائد الخالد"، وهم شيعية بلدة "خربة الحياتو" بقيادة المنطقة الشمالية

"النظام يدمج الميليشيات الموالية له داخل الجيش"، موقع قاسيون، تاريخ النشر 2019-5-2. <https://qa-n.com/oq9czas>

⁸⁴ وهي مليشيا شيعية محلية من شيعية محافظة حمص تتبع لحزب الله، للمزيد راجع الملحق رقم 1 في التقرير السابق ضمن السلسلة.

⁸⁵ "ماركة إيرانية مسجلة في سوريا"، موقع المدن، تاريخ النشر 2017/04/21، <http://bit.ly/2knACM>

وعند النظر إلى الأسباب الدافعة وراء هذه الصراعات الداخلية، والتي تحول بعضها لمصادمات بالأسلحة يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- صراعات نتيجة تكتيكات عسكرية: تسببت بعض التكتيكات والأوامر العسكرية باندلاع خلافاتٍ تطور بعضها إلى اشتباكات، كقيام بعض الميليشيات القوية بزجّ الميليشيات الضعيفة كقطع في المعارك الصعبة وخطوط الاشتباك الأولى أو المهام الخطرة، فعلى سبيل المثال رفضت ميليشيات محلية الانصياع لأوامر قائد مليشيا "ذو الفقار" طلب منها التوجه لإزالة الألغام التي زرعتها "داعش"، وذلك لأنها لا تمتلك الأدوات والأجهزة المطلوبة، الأمر الذي أوجج الخلاف بين الطرفين، وتطور إلى اشتباكات مسلحة⁸⁶.

كما أشارت شهادات لبعض عناصر "حزب الله"، إلى أن قائد مليشيا "حزب الله" في سوريا رفض أوامر الحرس الثوري بالمشاركة في معارك حلب 2015، لأنه كان يعتبر أن أولوية الحزب تنصبُّ على المناطق الحدودية اللبنانية والمزارات الشيعية في دمشق؛ ليحافظ على السردية التي أقنع بها أنصاره بوجود التدخل في سوريا، إلا أن "قاسم سليمان" أجبر قائد "حزب الله" على المشاركة، ثم أمر بقتله في النهاية عام 2016⁸⁷.

2- صراعات نتيجة تفاوت الامتيازات: حصلت بعض الميليشيات غير السورية على امتيازاتٍ كبيرة مقارنة بتلك السورية، كما أن تلك الميليشيات الأجنبية تعامل مع الميليشيات المحلية أو حتى قادات وعناصر جيش النظام بنظرة فوقية، وكانت تنتظر منهم تنفيذ الأوامر فقط، فعلى سبيل المثال أظهرت بعض التسجيلات التي التقطها فصائل المعارضة في المعارك سخطاً شديداً من قبل بعض ضباط جيش النظام الذين فقدوا سلطتهم لصالح "حزب الله" أو "فيلق القدس"، الأمر الذي تطور إلى مصادمات في بعض المناطق، في حين تطورت الخلافات مؤخراً بين بعض فصائل المصالحات المدعومة من روسيا ومليشيات المشروع الإيراني في جنوب دمشق إلى مواجهةٍ عسكرية؛ نتيجة النشاطات التشيعية التي ترعاها الأخيرة وتحكمها بإدارة المنطقة وخطوط المواصلات وخاصة "قوات الرضا" التابعة لـ"حزب الله"؛ الأمر الذي دفع وجهات دينية شيعية للتدخل واحتواء الاحتقان⁸⁸.

3- خلافات نتيجة تضارب المصالح الروسية الإيرانية: مع الحديث عن صفقة روسية إسرائيلية أمريكية، تهدف إلى تقليص روسيا لنفوذ إيران في سوريا، تزايدت حدّة الصدامات بين مليشيات

⁸⁶ خلاف بين جنرال إيراني وقائد فرقة في ميليشيا أسد... ما علاقة داعش؟، اورينت نت 1-5-2019، <http://o-tv/B29>

⁸⁷ الديناميكيات بين «حزب الله» وإيران: وكالة وليس شراكة، حنين غدار، معهد واشنطن، تاريخ النشر 12 نيسان 2019،

<http://bit.ly/2knmLSW>

⁸⁸ "هيمنة الحرس الثوري وحزب الله.. سبب لتدمير ضباط الأسد"، موقع الجزيرة نت، تاريخ النشر 2-2-2015، <http://bit.ly/2lfhugt>
وفد شيعي إلى ببيلا... عودة العلاقات مع ميليشيات السيدة زينب، موقع صوت العاصمة، تاريخ النشر 6-9-2018، <http://bit.ly/2lfjkhn>

محسوبة على الطرفين، حيث قاومت مليشيات المشروع الإيراني محاولات تدخل روسيا أو أطراف محسوبة عليها، فعلى سبيل المثال اندلعت في مدينة الميادين اشتباكات عقب قيام حاجز لقوات الحرس الثوري الإيراني بإيقاف موكب للشرطة العسكرية الروسية، كما اندلعت اشتباكات في نفس التوقيت في محيط مطار حلب، إثر محاولة مليشيات إيرانية السيطرة على مقرّ عسكري داخل المطار، تتمركز فيه مليشيات مدعومة روسيا، كما يظهر الصراع بوضوح في القطاع الأمني، وذلك نتيجة الخطة الروسية التي تقتضي إعادة الهيكلة، والتي أدت إلى استبعاد قيادات أمنية محسوبة على إيران من المشهد⁸⁹.

4- صراعات نتيجة تضارب المصالح الخاصة ومناطق النفوذ: وتعود أسباب هذه المواجهات إلى تضارب في المصالح غير العسكرية للمليشيات المختلفة التوجه، أو صراعات على فرض مناطق نفوذ، على سبيل المثال اندلعت اشتباكات مسلحة في جرود بلدة قارة الحدودية في القلمون الغربي، بين مليشيات "حزب الله" و بعض مليشيا الدفاع الوطني التي بدأت مؤخراً بتلقي دعم من روسيا، نتيجة مطالبة الأخيرة بحصتها من أرباح عمليات تهريب المحروقات والمخدرات والأسلحة والبشر التي يقوم بها "حزب الله" عن طريق جرود القلمون الغربي، بعد أن غير "حزب الله" طريق التهريب إليها لأسباب أمنية، هذا ويذكر أن اشتباكاتٍ سابقةً اندلعت بين الطرفين؛ نتيجة قيام مليشيات الدفاع الوطني بتهريب سوريين إلى لبنان؛ الأمر الذي اعتبره الحزب تعدياً على مجالات عمله⁹⁰.

5- الخوف من غدر القوات التابعة للنظام وتحولها للجانب الروسي وتحقيق اختراقات أمنية من قبلها، فعلى سبيل المثال رفعت المليشيات العراقية الموجودة في البوكمال من درجة الاستنفار، وأقامت الحواجز بعد اتهامها لعناصر الأمن السوري والدفاع الوطني بقتل أحد عناصرها بتوجيه روسي، وفرضت على جميع سيارات الأمن السورية الخضوع للتفتيش عبر حواجزها، ومنعتها من التحرك قبل حصولها على وثائق موقعة من الحرس الثوري الإيراني⁹¹.

6- خلافات داخلية وتصفية حسابات سابقة: وهو ما يظهر في داخل بنية المليشيات العراقية خصوصاً، حيث أظهرت الانشقاقات الداخلية تداعيات الوضع العراقي وأثار الخلافات الداخلية، فعلى سبيل المثال قام قائد مليشيا "ذو الفقار" في سوريا بتحدي قرار قائد المليشيا الأساسية في العراق الذي قرر حلّ مليشيا "ذو الفقار" في سوريا ودمجها مع أخرى تحت اسم

⁸⁹ " ما دلالة تجدد الاشتباكات بين مليشيات روسيا وإيران في سوريا؟ " موقع عربي 21، تاريخ النشر 2019-3-21.

<http://bit.ly/2mNCTOh>

⁹⁰ "اقتتال بين حزب الله والدفاع الوطني على شحنة مخدرات في القلمون الغربي"، موقع صوت العاصمة، تاريخ النشر 2019-9-3.

<http://bit.ly/2lMePLK>

⁹¹ صفحة اتهامات المليشيات الشيعية على الفيس بوك، تاريخ النشر 2019-9-7، <http://bit.ly/2m4eMuc> ملاحظة: هذه الصفحة تتبع لمجموعة من الناشطين على الأرض في المحافظات الشرقية، يقومون بنقل الحدث وتقديم المعلومات مدعمة بالصور والفيديوهات، وتأخذ عنهم العديد من الجهات الإعلامية السورية وغيرها.

"أسد الله الغالب"، وتولية قيادة الجديدة إلى شخصٍ آخر، مما دفع بهذا القائد للاستعانة بإيران مجدداً؛ من أجل الحفاظ على وجوده وعلى الميليشيا التابعة له، وأبطل قرار قائده⁹².

رابعاً: استنتاجات:

بالنظر إلى ماسبق ودور مليشيات المشروع الإيراني القتالي الداعم لقوات النظام يمكن ملاحظة النقاط التالية:

1. تمت معظم المعارك السابقة تحت قيادة "الحرس الثوري الإيراني"، أو "حزب الله" باستثناء معارك الغوطة الأخيرة، حيث أتبع في تلك المعارك تكتيكات عسكرية متشابهة، تجلت في حصار خانق استمر لفترة طويلة، ثم عمليات عسكرية مكثفة اعتمدت على سياسة الأرض المحروقة، واستثمرت فيها معاناة المدنيين كورقة ضغط على فصائل المعارضة؛ لإجبارهم على الرضوخ.
2. استخدمت مليشيات المشروع الإيراني في سوريا الخطاب الطائفي بشكل علني، ورفعت شعاراتٍ دينية، حيث تكررت تصريحات من قبل بعض قادة الميليشيات العراقية التي تشير إلى البعد العقائدي للمعارك في سوريا، وتصف فصائل المعارضة فيها بـ "نواصب العصر"، كما ترددت بعض الهتافات الطائفية التي توعد فيها الشيعة بإحراق دمشق ومن فيها وقطع الرؤوس وخوض الحرب، خلال تشييع أحد القتلى الذين سقطوا بالتزامن مع معارك الغوطة⁹³.
3. شاركت مليشيات المشروع الإيراني في سوريا في عمليات تطهيرٍ عرقي ومجازر وعمليات إعدام ميداني بالرصاص وذبح وحرق واغتصاب⁹⁴، وظهرت العديد من التقارير الحقوقية التي تشير بالأدلة إلى تورط العديد من هذه الميليشيات في جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية⁹⁵، إلا أن ذلك لم يقابل بضغوطٍ دولية رادعة، بل وقفت المنظومة الدولية والأمم المتحدة عاجزةً عن الضغط على "حزب الله" على سبيل المثال، وإجباره على السماح لمساعدات الأمم المتحدة بالدخول إلى مضايما والزبداني، أو إخراج الجرحى رغم وجود قرارات واضحة من مجلس الأمن.

⁹² " مع عودة قائدها من إيران.. خلافات بين كبرى مليشياتٍ عراقية تقاتل في سوريا " موقع مراسل سوري، تاريخ النشر 24-5-2016،

<http://bit.ly/2mqwjNx>

⁹³ " أبو عزرائيل": أهل حلب نبشوا قبور الصحابة ونحن نقاتل "النواصب"، موقع بلدي نيوز، تاريخ النشر 16-12-2016،

<http://bit.ly/2CjkdKS>

" تهديد بحرق دمشق وسكانها وبقطع الرؤوس.. فيديو لأنصار ميليشياتٍ شيعية بحي الأمين يثير غضباً"، موقع السورية ت، تاريخ النشر 2-

<http://bit.ly/2Q2ESuu>، 2018-5

⁹⁴ وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان عام 2015، مقتل 1005 مدني على يد الميليشيات الشيعية الإيرانية والعراقية وحزب الله

المصدر: جرائم الميليشيات الشيعية.. مجازر لا يكاد يراها أحد، الشبكة السورية لحقوق الإنسان، تاريخ النشر 3-2-2015،

<http://bit.ly/2Nqde9d>

⁹⁵ تقارير لجنة التحقيق الدولية المستقلة المعنية بالجمهورية العربية السورية حول القصور وحلب، <http://bit.ly/2WVSt8G>

4. رغم وضوح الدور الإيراني العسكري في سوريا، وصدور العديد من التقارير الأجنبية التي تنبه لخطره وخطر مليشياته، تأخر إدراج الحرس الثوري الإيراني أمريكياً كمنظمة إرهابية حتى عام 2019⁹⁶، وكذلك تأخر تصنيف حزب الله كمنظمة إرهابية من قبل بعض دول الاتحاد الأوروبي حتى نفس التوقيت⁹⁷، بينما استثنيت مليشيات "الحشد الشعبي" العراقي من التصنيف رغم قتالها في سوريا، وعدم خضوعها التام لمؤسسات الدولة العراقية، وارتكابها الكثير من الانتهاكات في سوريا، وقد جاءت هذه الخطوات بهدف زيادة الضغط والعقوبات العسكرية على إيران ومليشياتها، ولم يكن الهدف منها اتخاذ أي خطوات عملية رادعة لإيقافها في سوريا⁹⁸.
5. ربما كان "حزب الله" المليشيا الأخطر على السوريين بين المليشيات الأجنبية الأخرى، نظراً لكونه الأكثر ولائاً لإيران ومشروعها في المنطقة، وترجع خطورته إلى قدراته القتالية المتقدمة وحالة الانضباط والتنظيم وامتلاكه السلاح النوعي، وإلى حالة الأدلجة الطائفية التي ارتبطت بمرجعية "ولاية الفقيه" والتي بنيت وترسخت بهدوء على امتداد سنوات طويلة وهي التجربة، في حين بدت المليشيات التي تم تجنيدها في وقت متأخر أشبه بالمرتزقة لا تملك ذات الولاء ولا ذات الأثر، وقد كان حزب الله قادراً إلى جانب خوضه المعارك على اختراق المجتمع السوري، وتجنيده الخلايا والأتباع وتعزيز الاصطفافات الطائفية بين مكوناته، وتحويل الأراضي السورية إلى ساحة مفتوحة لأنشطته الاقتصادية غير المشروعة كزراعة المخدرات والاتجار بها.
6. رغم الأعداد الكبيرة للمليشيات المشروع الإيراني التي شاركت في القتال داخل سوريا، والدعم الكبير الذي حصلت عليه سواء على نطاق الأسلحة النوعية أو على نطاق التغطية الجوية، لم يكن حسم المعارك سهلاً بل واجهت هذه المليشيات مقاومة شرسة من قبل فصائل المعارضة السورية رغم فارق العدد⁹⁹ والعتاد، حيث تمكنت الأخيرة من صدّ العديد من الهجمات والافتحاحات المتلاحقة، وأوقعت الخسائر الكبيرة في صفوف تلك المليشيات بينها قيادات مهمة وقوات نخبة.
7. بالنظر إلى مآلات المعارك العسكرية وشكل الحسم، لم يكن الهدف من أغلب المعارك القضاء على "العصابات الإرهابية" وفق الرواية الرسمية، وإنما كان الهدف منها إبعاد فصائل المعارضة عن النقاط الحساسة والتخفيف من التهديد الذي تشكله، والتمهيد لعملية تغيير ديموغرافي،

⁹⁶ دونالد ترامب يصنف الحرس الثوري الإيراني "منظمة إرهابية"، قناة البي بي سي العربية، تاريخ النشر 8-4-2019،

<https://bbc.in/2NsWwpy>

⁹⁷ الاتحاد الأوروبي... كيف ينظر الى حزب الله، بعد وضعه على قائمة الإرهاب؟، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب، تاريخ النشر

<http://bit.ly/33twRTh>، 2019-9-3

⁹⁸ "توقيت تصنيف «الحرس الثوري» الإيراني منظمة إرهابية هو الأسوأ بالنسبة لإيران"، معهد واشنطن تاريخ النشر 9-4-2019،

<http://bit.ly/2jYFaPu>

⁹⁹ لم تتجاوز أعداد مقاتلي المعارضة في كل من القصير، وحمص القديمة وداريا والزبداني ووادي بردى، والقلمون الغربي 1200 مقاتل في كل

منطقة، وفقاً لشهادة من التقاهم فريق العمل

وتحويل سوريا إلى "سوريا المفيدة والمتجانسة"¹⁰⁰ بحيث لا يبقى فيها مكان لمن يعارض النظام وحلفاءه.

8. استغل "حزب الله" ورقة التنظيمات المصنفة دولياً كـ"داعش" و"جبهة النصرة" بشكلٍ فعال، خاصة في منطقة الزبداني ومناطق القلمون الغربي، وخاصة مع الظهور المفاجئ لـ"داعش" في كلا المنطقتين، ثم قيام هذه التنظيمات بعمليات استهدفت العمق اللبناني أو بعض الطوائف في سوريا¹⁰¹، وهو ما يطرح العديد من الأسئلة حول حقيقة العلاقة تنسيقية كانت أو حتى مصلحة بين الطرفين، خاصة وأن الحملة التي شنها "حزب الله" في كلٍّ من لبنان وسوريا انتهت باتفاقٍ يقضي بنقل عناصر "داعش" و"جبهة النصرة" إلى دير الزور، مقابل تسليم جثث المقاتلين في حوزتهم، وهو ما يشير إلى الرغبة في إبقاء ورقة التنظيمات المصنفة دولياً كذريعة لبقاء وجود مليشيات المشروع الإيراني في سوريا¹⁰².

9. لا يبدو فيما هو معلن أن فصائل المعارضة السورية أحسنت استخدام ورقة القتلى والأسرى من عناصر المليشيات الأجنبية التابعة لإيران، حيث ساهم تقصير فصائل المعارضة السورية في إدارة هذا الملف بشكلٍ احترافي بتعاظم دور تلك المليشيات وأعدادها، خاصة وأن تسليط الضوء وتوثيق أعداد القتلى والأسرى ورتبهم العسكرية وجنسياتهم كان من شأنه أن يزيد الضغوط الداخلية والخارجية على كلٍّ من إيران والمليشيات الأجنبية التي قامت بتجنيدها، وبوقف عمليات التجنيد التي تديرها أو يخفيها.

أما فيما يتعلق بأنشطة مليشيات المشروع الإيراني غير القتالية، ذات الطابع المدني فيمكن ملاحظة النقاط التالية:

1. بالنظر إلى عمليات التجنيد الأخيرة التي تسعى إليها المليشيات العراقية و"حزب الله" على وجه الخصوص، والتوقيت الذي نشطت فيه بعد انتهاء المعارك على الأرض وانحسارها في رقعة جغرافية محدودة، لا تبدو هذه المحاولات نتيجة حاجة عسكرية، أو رغبة في تعويض نقصٍ عددي، بقدر ما تبدو محاولةً لتشكيل امتدادات وفروع جديدة لتلك المليشيات على الأراضي السورية ترتبط معها تنظيمياً، وتؤسس لإقامة فرع جديد سوري يتبع لها يمكن من خلاله أن تضمن مصالحهما، فيما لو اضطرت تلك المليشيات الأجنبية للخروج مستقبلاً من سوريا نتيجة الضغوط الدولية.

¹⁰⁰ أطلق بشار الأسد مصطلح "سوريا المتجانسة" في آب من العام 2017 حيث أشار إليه في سياق حديثه عندما قال إنه ربح سوريا أكثر صحة وأكثر تجانساً بالمعنى الحقيقي، وليس بالمعنى الإنشائي أو بالمجاملات

¹⁰¹ كحوادث خطف الجنود اللبنانيين أو حادثة خطف الراهبات من معلولا.

¹⁰² يعتقد البعض أن نقل عناصر داعش من جرود لبنان وسوريا باتجاه دير الزور ومناطق شمال شرق سوريا بعد 4 شهور من انتهاء عملية درع الفرات، كان الهدف منه السعي لتمكين الأحزاب الكردية الانفصالية من الظهور والتحالف مع الدول الغربية في حربها على الإرهاب وأخذ المشروعية، لتكون عائقاً يسعى لإحباط المشروع التركي الذي كان يسعى إلى إنشاء مناطق آمنة وطرد عناصر تنظيم داعش منها.

2. ترتبط أنشطة التجنيد مع أنشطة التشيع بشكلٍ متبادل، حيث غالباً ما يتشيع المجندون الجدد لتحصيل المنافع الجديدة وامتيازاتٍ أوسع، أو يتم تجنيد المتشيعين الجدد وتسليمهم مهامٍ ضمن بعض المليشيات، حيث تسعى هذه المليشيات إلى تعزيز العقيدة الطائفية عند المجندين؛ لضمان ولائهم بشكل أكبر.
3. تشير جهود التشيع الحالية إلى نشاط واضح في المحافظات الشرقية، حيث تظهر المليشيات العراقية جهوداً كبيرة لنشر التشيع في المناطق والبلدات الحدودية، وذلك في محاولة لاستئناف نشاط التشيع الإيراني السابق في المنطقة من جهة، ورغبة تلك المليشيات العراقية بترويض وجودها في هذه المنطقة والتغلغل في بنية المجتمع بعد تغييره ليتوافق مع متطلباتها، بالإضافة إلى محاولتها قطع الارتباط بين العشائر السنية الموجودة في الطرف السوري من الحدود مع امتداداتها العشائرية الموجودة على الطرف العراقي، وذلك بإنشاء شريط حدودي شيعي يقطع هذا الاتصال.
4. بالعودة إلى بعض المناطق التي تمت فيها عمليات تهجير كامل كداريا والزبداني والقصير، لا تزال هذه المناطق فارغة من السكان رغم مضي أعوام على سيطرة النظام عليها، حيث لم تسمح المليشيات والقوى المسيطرة على الأرض لسكانها المحليين بالعودة إلى منازلهم، وهو ما يمكن أن يُفهم على أنه حالة من العقوبات الجماعية ضد سكان تلك المناطق، أو أنه يعود للخوف من حدوث عمليات انتقامية ضد تلك المليشيات كردٍ على الانتهاكات التي ارتكبتها بحق المدنيين، أو محاولة منها لتهمئة المنطقة وإعادة تشكيلها من جديد من خلال استيلائها على بعض المنازل، وخاصة تلك التي تعود لمعارضين أو قادة عسكريين معارضين ومصادرة أملاكهم، هذا بالإضافة لوجود تخوفاتٍ عند السوريين من العودة إلى مناطق تتحكم بها مليشيات طائفية سبق وارتكبت العديد من الجرائم، ولا يمكن أن يردعها قانون ولا محاسبة.
5. يظهر توجه المليشيات غير السورية، وسعيها إلى إقامة مربعات أمنية قلقاً واضحاً وهو اجس متزايدة من إمكانية استهدافها من قبل السكان المحليين بعد تهجير فصائل المعارضة المسلحة، أو التخوف من حدوث خروقاتٍ أمنية أو عمليات تصفية أو اغتالات؛ نتيجة خلافات داخلية أو بدافع من جهاتٍ خارجية، وهو ما ينفي احتمال عودة الاستقرار والأمان إلى مناطق سيطرة النظام، وهي السردية التي يسعى لترويجها بشكلٍ كبير.
6. تظهر مليشيات المشروع الإيراني في أنشطتها غير القتالية توجهاً واضحاً لتغيير هوية المجتمع السوري الاجتماعية والعمرانية وصبغه بالصبغة الشيعية، من خلال تغيير أسماء بعض المناطق والتركيز على صور قتلى المليشيات وتسمية الشوارع أو المدارس بأسمائهم، وإنشاء المزارات والحسينيات وإفساح المجال أمام نشاط لجمعيات "إغاثية أو تعليمية" تعتمد

إظهار الهوية الطائفية و ترفع الشعارات التابعة لها، وهو توجه من شأنه أن يعزز الشروع الاجتماعية والاصطفافات والانقسامات في بنية المجتمع الداخلية، ويفشل أي مشروع مستقبلي لإعادة صياغة الهوية الوطنية الجامعة.

7. تشير الأنشطة غير القتالية التي تقوم بها مليشيات المشروع الإيراني في سورية إلى خطوات عملية تسعى لتكرار تجربة "الحشد الشعبي" في العراق أو تجربة "حزب الله" في لبنان واستنساخها في سوريا، وخاصة الأنشطة التي تأخذ طابعاً سياسياً أو التي تهدف إلى خلق جناحٍ سياسي يؤمن لتلك المليشيات العسكرية دعماً وغطاءً وشرعيةً قانونية لاحقة، ويساعدها على التحكم في مفاصل النفوذ في البلاد¹⁰³.

8. تشير أنشطة الاستملاك وشراء العقارات التي تقوم بها جهات محسوبة على مليشيات المشروع الإيراني في سوريا إلى رغبة تلك المليشيات في الاستثمار في مجال العقارات، وهو ما يُفهم بأنه محاولة منها لاستباق عملية إعادة الإعمار والاستفادة منها بالشكل الأمثل، من خلال الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من العقارات والأراضي واستغلال حاجة أصحابها وشرائعها بأثمانٍ بخسة، الأمر الذي يمكن أن يحقق لها أرباحاً كبيرةً بعد انطلاق عملية إعادة الإعمار، ويعزز وجودها ويقوي جذورها في المنطقة، ويجعلها من أصحاب الحقوق والأموال.

الخاتمة:

يبدو واضحاً مما سبق، أن مليشيات المشروع الإيراني الأجنبية لا تنوي مغادرة سوريا، رغم حالة الاستقرار النسبي، وانحسار المعارك إلى رقعة واحدة في الشمال السوري، حيث تسعى هذه المليشيات إلى لعب أدوار أخرى تعزز وجودها الاجتماعي والاقتصادي، وتسمح لها بالتحول من الشكل العسكري الفجّ، إلى أشكالٍ جديدة تمكّنها من استمرار الوجود والتغلغل في بنية المجتمع والحفاظ على مصالحها المكتسبة نتيجة ذلك التدخل، وتحميها من عمليات الاستهداف الخارجي المباشر.

وتشير المعطيات السابقة أيضاً إلى أنّ إيران تسعى لتكرار تجربة "الحشد الشعبي" في العراق وتجربة "حزب الله" في لبنان، واستنساخها في سوريا، ولكن بالاستعانة بالمليشيات "الشيوعية" الأجنبية التي أثبتت أنها أكثر ولاءً من بعض المليشيات المحلية السورية التي ربما نقلت ولاءها إلى الجانب الروسي؛ لتضمن إيران استقرار مصالحها واستمرار مشروعها الإقليمي في المنطقة، ولتفرض نفسها كلاعبٍ رئيسي مؤثر في مسار الحلّ السياسي النهائي في سوريا.

¹⁰³ ستفصل الورقة الثالثة من هذه السلسلة في استشراف الدور السياسي الذي يمكن أن تلعبه هذه المليشيات في مستقبل سوريا والإقليم



مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center



sydialogue



www.sydialogue.com